من تراث الغماريين

أولياء وكرامات

النقد المبرم لرسالة الشرف المحتم

للحافظ السيوطي

نقد وتحليل لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي

وفقه الله.. وعفا عنه

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة القاهرة:

تليفون ٥٩١٥٦٠٩

الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة القاهرة :

الرئيسي ١٢ ش الصنادقية بالأزهر

الفرع : ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ص ب ٩٤٦ العتبة

تليفون ٥٩٠٥٩٠٩

القاهرة

جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٩٩٨/١١٣٥٧

الترقيم الدولي :

I. S. B. N.: 977 - 5437 - 55 - 5

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كاشف لمسائل
تخفى على الحذاق والفطناء

ينفي غلوا قد أضيف جهالة
لجماعة الفضلاء والعقلاء

فالأولياء لهم كرامات أتت
حقا بلا نكر ولا غلواء

لكنها لا تنتهي أبدا إلى
ما قد يفوق تصور العقلاء

أعني محالا لا يكون كرامة
كلا ولا كذبا على النجباء(1)

---

(1) هم طائفة من الأولياء جاء ذكرهم في الأثر.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي له ما في الأرض والسموات، وأرسل الرسل وأيدهم بالمعجزات، وأحب أولياءه وأنعم عليهم بالكرامات:

أما بعد...

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا، يتناول بالبحث والتمحيص موضوعاً في غاية الأهمية، ألا وهو كرامات الأولياء والصالحين.

والمؤلف – رحمه الله – سلك في كتابه هذا منهجاً عدلاً، وطريقة وسطاً، فكل ما وافق الكتاب والسنة من كرامات الأولياء والصالحين أثبته وأيده، وكل ما خالف الكتاب والسنة كشف زيفه وأظهر بطلانه، أياً كان صاحبه ومهما بلغ من شأنه وعلو ذكره بين العوام وغيرهم من فئات الناس.

ويحسن أن نُصَدِّرَ هذا الكتاب بكلمة جليلة لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في هذا الشأن، حيث قال رحمه الله:

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ: مثل انشقاق القمر، وتسبيح الحصا في كفه، وإتيان الشجر إليه، وحنين الجذع إليه، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس، وإخباره بما كان وما يكون، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة.. ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة.

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً:

مثل ما كان «أسيد بن حضير» يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها، وعباد

بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما، رواه البخاري وغيره.

وقصة «الصديق» في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربى من أسفلها أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا.

و«خبيب بن عدي» كان أسيراً عند المشركين بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة..

وخرجت «أم أيمن» مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حساً على رأسها فرفعته فإذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها.

و«عمر بن الخطاب» لما أرسل جيشاً أمّر عليهم رجلاً يسمى «سارية» فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش فسأل فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدواً فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.

و«العلاء بن الحضرمي» كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم! يا حليم! يا علي! يا عظيم! فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد.

وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع، وأما ما نعرفه عن أعيان ونعرفه في هذا الزمان فكثير.

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن ما يظنه كثير من الجهلاء أنه كرامات ولكنه في حقيقة الأمر أحوال شيطانية.

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال «عبد الله بن صياد» الذي ظهر في زمن

النبي ﷺ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، و« الأسود العنسي » الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، وكذلك حال « مسيلمة الكذاب » كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور، وأمثال هؤلاء كثيرون.

وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة: منها أن « كرامات الأولياء » سببها الإيمان القوي، و« الأحوال الشيطانية » سببها ما نهى الله عنه ورسوله، مجموع الفتاوى جـ ١١ .

ومما سبق يتبين لنا أن هناك كرامات للأولياء موافقة للكتاب والسنة، وأحوال شيطانية يفعلها الجن لأوليائهم، وهي مخالفة للكتاب والسنة.

وما قام به مؤلف هذا الكتاب هو التفريق بين كرامات الأولياء وبين أحوال أولياء الشياطين، حيث نصر الحق على الباطل بالدليل من الكتاب والسنة، فجزاه الله خيراً، ورحمه الله تعالى..

الناشر

مكتبة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبب تأليف الكتاب

الحمد لله مظهر الحق ومعليه، ومدحض الباطل ومخفيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالصدق وأرشد إليه، ونهى عن الكذب وأخبر بوجوب اللعنة عليه، ورضي الله عن آله الكرام وصحابته الأعلام، وعمن نهج نهجهم في التمسك بالصدق، والتزام قول الحق، لا يبغون به بديلاً، ولا يتخذون غيره سبيلاً ممتثلين قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة: ١١٩].

أما بعد...

فقد وقفت — وأنا في سن الطلب — على رسالة منسوبة للحافظ السيوطي — رحمه الله تعالى — اسمها:

« الشرف المحتم فيما من الله به على وليه السيد أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبي ﷺ »، فلم أعرها كبير اهتمام، بل قبلت ما جاء فيها بالإذعان والاستسلام، ولما قرأت علم الأصول، وتمكنت فيه، وعرفت فوادمه من خوافيه، أدركت بطلان تلك الكرامة التي ألفت الرسالة لإثباتها، ونبهت في كتابي « مصباح الزجاجة في صلاة الحاجة » على ذلك، ثم أعيد طبع تلك الرسالة في هذه الأيام، فرأيت خطورة ما تحتويه من نسبة شئ إلى النبي ﷺ، لم يحصل منه، وهذا أمر لا يجوز السكوت عليه، ولا يصح إغفاله.

فأردت أن أبين في هذه الورقات، كذب تلك الكرامة المفتعلة، وأبرهن على بطلانها بقاعدة أصولية، لم يتنبه لها كثير من العلماء، فضلاً عمن دونهم، كما أبين بطلان نسبة الرسالة إلى الحافظ السيوطي — رحمه الله ورضي عنه — ثم أذكر بعد ذلك كرامات، نسبت إلى عدد من الأولياء، ولم تحصل منهم، وإنما صنعها الأتباع والمحبون المتغالون، والله المسئول أن يهدينا سواء السبيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

مقدمـة

في ذم التغالي

كثير من الناس، إذا سمعوا بكتابي هذا ورأوه، فسوف يعترضون عليّ، ويفوقون سهام اللوم إليّ، وسوف يقولون عني: إنني ملت للوهابية، أو اعتزلت، فتعجيزي قدرة الله، أو نافقت، لإنكاري بعض الكرامات، إلى غير هذا مما يتردد على ألسنة الجهلة أعداء البحث العلمي، وأنصار الخرافات والأوهام(١)، وذلك لا يضيرني، بل يرتفع عند الله وعند العلماء المنصفين، لأني نفيت عن رسول الله ﷺ كذباً، يلحقني إثم لو لم أنفه عنه، وقد قيل ليحيى بن معين: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين جرحتهم خصماءك يوم القيامة؟ فقال: لأن يكونوا خصماء لي، أحب إلي من أن يكون النبي ﷺ خصمي، حيث لم أذب عنه الكذب(٢)، والتصوف صدق في القول والعمل، وليس تلفيقاً للأكاذيب، ولا ترويجاً لها، وأنا صوفي عقيدة ونسباً، شاذلي طريقة ومشرباً، أعتقد الكرامات، ولي فيها تآليف جيدة مفيدة، أسمه «الحجج البينات في إثبات الكرامات»، وهو مطبوع، لكن لا أؤيد الخرافات، والفرق بين الكرامة والخرافة ظاهر، يعرف بالعرض على قواعد علم الكلام والأصول، ومن لا يحسن قواعد هذين العلمين، يحسن به أن يسكت عن الكلام في موضوع الكرامات، لأنه إذا تكلم فضح نفسه، وأظهر جهله، وتعجيز قدرة الله تعالى، كفر صريح، لكن لا علاقة له بنفي ما قام الدليل على بطلانه.

أما النفاق، فحشره هنا حشو ولغو من القول، لأنه بأنواعه(٣) الثلاثة، أبعد ما يكون عن الكرامات، بله الخرافات.

هذا ومما لا شك فيه أن التغالي مذموم، لأنه خروج عن حد الاعتدال المقبول.

---

(١) الناس في هذا الوقت لا يعرفون الاعتدال، فإما أن يعتقدوا ما يحكى عن الأولياء جميعه، لا يفرقون بين غثه وسمينه، وإذا أنكر الشخص بعض الكرامات التي اقتضى الدليل بطلانها، اعتبروه وهابياً ونصبوه العداء، وإما أن ينكروا الأولياء وكراماتهم جملة، ويعتبروا معتقد ذلك مخرفاً كـ[illegible]، والحق خلاف هذين الطريقين.

(٢) وقال يحيى أيضاً: نحن نجرح أناساً لعلهم حطوا رحالهم في الجنة منذ زمان، يعني أنهم كانوا صالحين.

(٣) هي: نفاق كفر، ونفاق عمل، ونفاق اجتماعي، وقد بينتها بأمثلتها في خواطر دينية.

ولذلك نهى النبي ﷺ الأمة عن التغالي في شأنه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، وقولوا عبد الله ورسوله»؛ لأنه عليه الصلاة والسلام، خشي أن يحمل حبه أناساً من أمته أن يدعوا فيه الألوهية، كما ادعاها النصارى في عيسى؛ حيث زعموا فيه أنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد عصم الله الأمة المحمدية من ذلك، فلم يصفوه بأكثر مما هو وصفه، كما قال البوصيري:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر

وأنه خير خلق الله كلهم

لكن تغالى كثير من الناس في الأولياء، فرفعوهم إلى رتبة النبوة حيناً، وإلى رتبة الألوهية حيناً آخر.

من النوع الأول: جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماء الخلائق ليبلغني سلام من سلم علي من أمتي» الحديث، وقال المتغالون في الأولياء - وكذبوا -: إن الله وكل بقبر كل ولي ملكاً يقضي حاجات الزائرين المتوسلين بذلك الولي، وهذا مخالف لما قاله الصوفية أنفسهم، فقد قال القطب شمس الدين محمد الحنفي: إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل مدد للزائر بعد الموت، أو قضاء حاجة، فهو من الله تعالى، على يد القطب صاحب الوقت، يعني الولي الحي، لأن الميت لا إمداد عنده، ولا ملك عند قبره.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ، هاجر من مكة إلى المدينة، بوحي من الله تعالى.

وقال المتغالون في السيد احمد البدوي: إنه لم يذهب من مكة إلى العراق، إلا بأمر الهاتف الذي أمره بالسفر، وقال له: إن لنا في ذلك شأناً، ثم رجع إلى مكة، فأمره الهاتف أيضاً بالذهاب إلى طندتا، وقال له أيضاً: إن لنا في ذلك شأناً، وهكذا لم يكن يتحرك السيد البدوي إلا بوحي، كما لم يكن النبي ﷺ يتحرك إلا بوحي.

ومن النوع الآخر: قال الله تعالى عن عيسى - عليه السلام - حاكياً على لسانه: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ويحكي المتغالون - وكذبوا - عن الشيخ جلال الدين الرومي: أن أناساً كانوا يناقشونه في كرامات الأولياء، وذكروا إحياء الموتى معجزة لعيسى - عليه السلام - فذكر

لهم أنه يفعل مثلها، ومرت بهم جنازة، فأشاروا على المشيعين بالوقوف، ثم سأل المتناقشين: كيف كان عيسى يحيي الموتى؟ قالوا: كان يقول للميت قم بإذن الله، فيقوم. فالتفت الشيخ جلال الدين إلى الميت – وهو على النعش – فقال له: قم بإذني، فقام!! هذه رتبة الألوهية، ولكن المتغالين والخرفين لا يرون فيها شيئاً، بل يحتجون بصحتها بحديث قدسي يقول: «عبدي أطعني أجعلك ربانياً تقول للشيء كن فيكون».

وفاتهم أمران:

١ – أن هذا الحديث لا أصل له، بمعنى أنه لم يروه أحد من أهل الحديث، ولا يوجد في شيء من كتب السنة[1].

٢ – أن الله تعالى قال لعيسى – عدد نعمه عليه –: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠]، فلم يعطه رتبة قول كن، مع أنه من أفضل العبيد الربانيين، نعم أعطيها النبي ﷺ خصوصية له، ففي غزوة تبوك رأى الصحابة شبحاً من بعيد، فقالوا: هذا شخص يريد اللحوق بنا، فقال النبي ﷺ: «كن أبا خيثمة» فإذا هو أبو خيثمة، وشاهدوا شبحاً آخر، فقال النبي ﷺ: «كن أبا ذر» فإذا هو أبو ذر، أما قول ممشاذ الدينوري: تركت قولي للشيء: كن فيكون، منذ عشرين سنة، أدباً مع الله – عز وجل – فقد أوله بعض كبار الصوفية بأن معناه: انه كان مجاب الدعوة، كلما دعا أجيب، ثم ارتفع عن ذلك إلى الله تعالى، فصار بمراد الله لا بمراده، فترك الدعاء، وهذا التأويل متعين.

وحصلت مناقشة بين وهابي وخصمه بالمنصورة، كنت حاضراً فيها، فقال الوهابي لخصمه: لم تذهب إلى قبر الولي فتشتكي فلاناً الذي ظلمك؟ ولم لا ترفع شكواك إلى الله؟ فرد عليه خصمه بقوله – وبئس ما قال –: لا أشتكي إلى الله تعالى، لأنه حليم يمهل، وأشتكي إلى الولي، لأنه عجول، يغضب في الحال، فعرفته خطيئته، وبينت له: أن الله تعالى إذا أمهل شخصاً ولم يعاقبه، فلا يستطيع ولي ولا نبي ولا ملك تعجيل عقوبته، والله تعالى يقول لنبيه: ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾

---

(١) وإنما هو من الإسرائيليات، مثل الحديث القدسي القائل: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)، فهو من الإسرائيليات أيضاً.

[الأعراف: ١٨٨] . . . ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)﴾ [الجن: ٢٢]، ويقول النبي ﷺ في وصيته لابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

وليس الولي إلا رجلاً صالحاً ترجى بركة دعائه، أو بركة الاستشفاع به، أما أن يفعل شيئاً ثم يرده الله، فلا يقدر عليه هو ولا العالم بأجمعه ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

وهذا من البدهيات في عقيدة الإسلام، لكن الجهل بالدين، عم أغلب الناس، فوقعوا في الضلال وهم لا يشعرون.

الباب الأول

وهو يشتمل على فصلين:

الفصل الأول

إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يد النبي ﷺ

في إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يد النبي ﷺ جاء في رسالة «المشرف المحتوم» عن الشيخ عز الدين عمر أبي الفرج الفاروثي الواسطي، قال: كنت مع شيخنا ومفزعنا وسيدنا أبي العباس القطب الغوث الجامع الشيخ السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ... عام خمس وخمسين وخمسمائة؛ العام الذي قدر الله له فيه الحج، فلما وصل مدينة الرسول ﷺ، وقف تجاه حجرة النبي ﷺ، وقال على رءوس الأشهاد:

السلام عليك يا جدي، فقال له ﷺ: وعليك السلام يا ولدي، سمع ذلك كل من في المسجد النبوي، فتواجد سيدنا السيد أحمد الرفاعي، وأرعد واصفر لونه، وجثا على ركبتيه، ثم قام وبكى وأنّ طويلاً، وقال: يا جداه:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها

تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه نوبة الأشباح قد حضرت

فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة، من قبره الأزهر، فقبلها في ملإ يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون اليد الشريفة، وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ عدي بن مسافر الشامي وغيرهم، وتشرفنا معهم برؤيا اليد المحمدية الزكية، وفي يومها لبس الشيخ حياة بن قيس الحراني، خرقة السيد أحمد الرفاعي الكبير[١]، واندرج في سلك أصحابه.

---

(١) هذا الوصف يدل على كذب القصة أيضاً، وأنها صنعت في عهد متأخر، لأن الشيخ أحمد بن الرفاعي لم يوصف بالكبير إلا بعد وجود الشيخ علي الرفاعي، للتمييز بينهما.

ومن طريق آخر، عن الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي، عن شيخه القطب الفرد الشيخ عبد القادر الجيلي، ثم البغدادي، قال: كنت في محفل الكرامة التي أكرم الله بها الشيخ أحمد الرفاعي الكبير بتقبيل يد النبي ﷺ. قال اليعقوبي: فقلت: أي سيدي أما حسده على هذه الكرامة من حضر من الرجال؟ فبكى رضي الله عنه، ثم قال: يا ابن إدريس على يغبطه الملأ الأعلى.

وعن الشيخ عدي بن مسافر، وخادمه الشيخ علي بن موهوب، قالا: كنا في مسجد النبي ﷺ، عام حججنا، وكان الشيخ أحمد بن الرفاعي - رضي الله عنه - واقفاً تجاه الحجرة الطاهرة، وقد تكلم بكلمات ضبطها عنه جماعة، فما أتم كلامه، إلا وقد مدت له يد رسول الله ﷺ، فقبلها ونحن ننظر مع الحاضرين، قال ابن موهوب: والله كأني بها وقد خرجت من القبر المبارك، يد بيضاء سوية، طويلة الأصابع، كأنها البرق المضيء، وكأني بالحرم وأهله، وقد كاد يميد، وقد كادت تقوم قيامة الناس، لما ألم بهم من الدهش والحيرة، والهيبة والسلطان المحمدي، وقد قام الرحب وقعد بتكبير الناس، وصلاتهم عليه، ﷺ.

هذه هي القصة التي يعدها المتصوفة معجزة للنبي ﷺ، وكرامة للشيخ أحمد بن الرفاعي - رضي الله عنه.

والنبي ﷺ له معجزات كثيرة، وهو حي في قبره الشريف، بدلالة القرآن والسنة والإجماع، يرد سلام من يسلم عليه، ويشفع فيمن استشفع به، والشيخ الرفاعي أهل لهذه الكرامة وغيرها، لأنه من الأقطاب الكبار الذين نعتقد ولا يتهم الكبرى، لكننا نجزم بأن هذه القصة مكذوبة، لا نصيب لها من الصحة، وإن ذكرها الشيخ عبد الجواد الشربيني في كتاب «درر الأصداف في مناقب الأشراف»، والجمل في حاشية الهمزية، والسيد الشبلنجي في كتاب «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار» غير أنه بعد أن ذكرها، عقب عليها بقوله: لكن المشهور بهذه الكرامة سيدي علي الرفاعي الشهير بأبي شباك(١) الذي بمسجد ذخيرة الملك، بسوق السلاح، تجاه مدرسة السلطان حسن، ولقائل أن يقول: لا مانع من وقوعها لهما أ. هـ. ونجزم بأن مختلقها تحمل وزراً كبيراً يتبوأ به مقعداً في نار جهنم(٢)، وبيان ذلك من وجوه:

---

(١) فالشيخ سيد الشبلنجي يرجح وقوع القصة للشيخ علي الرفاعي، ومعنى هذا أن القصة ليس متفقاً على وقوعها للشيخ أحمد الرفاعي، وتجويزه وقوعها لهما معاً بعيد جداً، والقصة على كلتا الحالتين باطلة.

(٢) للحديث المتواتر «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في جهنم».

الأول: تقرر في علم الأصول: أن الخبر إذا كان تتوفر الدواعي على نقله بالتواتر، ثم نقل بطريق الآحاد، فهو مقطوع بكذبه، ومثل أهل الأصول لذلك، بسقوط الخطيب عن المنبر يوم الجمعة، فإن هذا الحادث لو حصل، يستدعي أن يخبر به جميع من كان في المسجد، فإذا انفرد به ثلاثة منهم، أو أربعة، أو عشرة، قطعنا بأنه مكذوب، وقطعنا بأنهم اختلقوه، أو اختلقه أحدهم ووافقه بقيتهم، ونحن إذا تأملنا تلك القصة، وجدناها تحكي خروج اليد الشريفة، من القبر المكرم، أمام جميع يقرب من تسعين ألف رجل، وأن الحرم النبوي كاد يميد من الدهشة، وكادت قيامة الناس تقوم، وقام الرحب وقعد، بتكبير الناس وصلاتهم على النبي ﷺ، وهذا حادث عظيم، خارق للعادة، شهده عدد كبير من الحجاج، من مختلف الأقطار الإسلامية، فكان الواجب أن يتحدثوا عنه، فيخبر حجازيون ويمنيون ومصريون أنهم شاهدوه، وكذلك غيرهم من الفارسيين والمغربيين والسودانيين والهنديين والأتراك والأكراد وخلافهم، وأن يسجل في تواريخ المدينة المنورة، لكن لا نجد له ذكراً في كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ولا في اختصاره، خلاصة الوفا، ولا في غيرهما من تواريخها، ولم يذكره السيد عبد القادر الجيلي في كتبه، ولا في دروسه، ولم يذكره الشعراني في الطبقات، مع حرصه على ذكر ما هو أقل منه.

وإنما تحدث به أربعة أشخاص فقط: عراقيان وشاميان فهذا دليل قاطع على أنه حادث مختلق، والذي صنعه استحسن وزاد نسبة روايته إلى ثلاثة شيوخ أجلاء هم: عبد القادر الجيلي، وعدي بن مسافر، وحياة بن قيس الحراني، وهؤلاء من كبار الأولياء، فنسبة القصة إلى روايتهم، تحمل الناس على تصديقها، واعتقاد حقيقتها، لكنهم لم يروا هذا الحادث، ولم يتحدثوا عنه، لأنه لم يقع، ولو وقع لكان غيرهم ممن شاهده، أسرع منهم بالحديث عنه، فإن هذا الحادث في غرابته، وعظم شأنه، يتسابق من يشاهده إلى إشاعته، خصوصاً الحجاج[1]، فإنهم يتحدثون عما شاهدوه في الحجاز من الأمور المعتادة، فكيف نسوا أن يتحدثوا عن هذا الأمر الجلل؟!!

وقد وقع حادث شبيه بهذا، تحدث عنه من شهده وكثيرون، قال تقي الدين المقريزي في كتاب: إغاثة الأمة بكشف الغمة:

ما نصه:

حكاية الثور الذي نطق

وقع في آخر هذا الغلاء أعجوبة في غاية الغرابة، لم يسمع بمثلها، وهي أن رجلاً من

[1] شاهدنا كثيراً من الحجاج ظلوا يتحدثون عما شاهدوه في حجهم، بقية حياتهم.

أهل التقليج، بحسبة عالي، إحدى قرى دمشق، خرج بثور له، ليرد الماء، فإذا عدة من الفلاحين، قد وردوا الماء، فأورد الثور، حتى إذا اكتفى، نطق بلسان فصيح، أسمع من بالمورد، وقال : الحمد لله، والشكر له، إن الله وعد هذه الأمة، سبع سنين مجدبة، فشفع لهم النبي ﷺ، وأن الرسول أمره أن يبلغ ذلك، وأنه قال : يا رسول الله فما علامة صدقي عندهم؟ قال : أن تموت بعد تبليغ الرسالة، وإنه بعد فراغ كلامه، صعد إلى مكان مرتفع، وسقط منه ومات، فتسامع به أهل القرية، وجاؤا من كل حدب ينسلون، فأخذوا شعره وعظامه للتبرك، فكانوا إذا بخروا به موعوكاً برئ، وعمل بذلك محضر مثبوت[١]، على قاضي البلد، وحمل إلى السلطان بمصر، فوقف عليه الأمراء، واشتهر بين الناس خبره، وشاع ذكره أ . هـ. وذكر هذا الحادث أيضاً في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

هذا حادث وقع في قرية من ريف دمشق، حضره عدة من الفلاحين، لا يتجاوزون مائة، ومع ذلك عمل به محضر عند القاضي، وحمل إلى السلطان بمصر، وسجله المؤرخ المقريزي في كتابين من كتبه .

فكيف لم يسجل حادث الشيخ الرفاعي وهو أغرب من هذا الحادث وأعجب؟! وأرفع منه وأشرف؟! يضاف إلى ذلك أنه وقع في المدينة المنورة، قبة الإسلام، وفي مسجدها النبوي، ثاني الحرمين، أمام عدة آلاف من المسلمين، حضروا من مختلف بقاع الأرض .

الوجه الثاني : أن رواة القصة لم يتفقوا على سياقها، بل اختلفوا فيه اختلافاً يقضي ببطلانها، فبينما يقول عز الدين الفاروثي عن الشيخ أحمد بن الرفاعي : وقف تجاه حجرة النبي ﷺ وقال على رءوس الأشهاد : السلام عليك يا جدي، فقال له النبي ﷺ : وعليك السلام يا ولدي، سمع ذلك كل من في المسجد النبوي، إذا بالشيخ عدي بن مسافر وتلميذه علي بن موهوب يقولان : كان الشيخ أحمد الرفاعي واقفاً تجاه الحجرة الطاهرة، وقد تكلم بكلمات، ضبطها عنه جماعة - يقصد أن بيتي الشعر - فما أتم كلامه إلا وقد مدت له يد رسول الله ﷺ، فقبلها ونحن ننظر مع الحاضرين، فلم يذكرا كلام النبي ﷺ، وقد سمعه كل من في المسجد النبوي! وهو لا يقل غرابة وعجباً عن خروج اليد الشريفة من القبر، بل هو الذي شجع الشيخ الرفاعي على إنشاء البيتين، فكيف سكتا عنه؟ لا تعليل لذلك إلا أن صانع القصة لم يحسن سبكها، فنسي أن

---

(١) كذا، والصواب : مثبت بضم الميم وفتح الباء، لأنه من أثبت، أما ثبت الثلاثي فلازم .

ينسب إلى رواتها لفظاً واحداً يتفقون عليه، والمثل يقول: إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً، ويجوز أن يقال: كان الفاروثي تلميذاً للشيخ الرفاعي، يهمه إثبات النسبة النبوية له، فلذلك سمع سلام شيخه، ورد النبي ﷺ بما يثبت نسبه، بخلاف الشيخ عدي وخادمه، فإنهما تلميذين للرفاعي، ولا يعنيهما ثبوت النسب له، فلم يسمعا تلك الحادثة التي سمعها كل من في المسجد النبوي!!

الوجه الثالث: أن الشيخ أحمد بن الرفاعي - رضي الله عنه - منسوب إلى بني رفاعة، قبيلة من العرب، كما في طبقات الشعراني، فكيف يقول: السلام عليك يا جدي؟ وهو لم يدع الانتساب إلى الحسين ولا الحسن عليهما السلام، وخاله الشيخ منصور البطائحي - وهو من الأولياء - لم يكن يدعوه إلا بلفظ أحمد، مجرداً عن السيادة، مع أن الأولياء أحرص الناس على تعظيم أهل البيت وتسويدهم، من غير مراعاة للقرابة أو غيرها، كما هو معلوم من أخلاقهم وآدابهم.

والحقيقة أن الرفاعي - رضي الله عنه - لم يثبت له الشرف إلا بعد موته بمدة، حين ظهرت فكرة الأقطاب الأربعة، وكان هو أحدهم، وعز على بعض أتباعه ألا يكون شريفاً مثل إخوانه الأقطاب الثلاثة: الجيلي والبدوي والدسوقي، فأنشأ له نسباً يتصل بالحسين - عليه السلام - لكن أبا الهدى الصيادي الرفاعي لم يكتف بهذا، بل أنشأ له نسباً أيضاً يتصل بالحسن - عليه السلام - وبذلك صار الشيخ الرفاعي حسينياً حسنياً، وامتاز على زملائه بالجمع بين الشرفين!

الوجه الرابع: ولو كان الشيخ الرفاعي حسينياً، فإنه لا يقول تلك الكلمة لأسباب:

أحدها: أن الأدب المطلوب في الزيارة النبوية أن يقف الزائر في المواجهة الشريفة بخشوع، ويقول: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، إلى آخر ما هو مدون في كتب الفقه، والشيخ الرفاعي ما كان يجهل هذا الأدب، وما كان ليدعه، لأنه من كمل الأولياء الحريصين على اتباع آداب الشريعة.

ثانيها: أن الشيخ الرفاعي كان متواضعاً شديد التواضع، يحب الخمول، وعدم الظهور، وطريقة مبني على التواضع، فكيف يقول على رءوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي؟ وهل هذا إلا تفاخر بالنسب؟ وما كان التفاخر من خلق الرفاعي، ولا حب

الظهور في طبعه.

ثالثها: أن الأدب المرعي بين الأولياء بعضهم مع بعض إذا اجتمعوا: ألا يتقدم صغير منهم على كبير، لقول النبي ﷺ «كبر كبر»، أي قدم الكبير، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تقدم الشيخ الرفاعي بتلك الكلمة، مع وجود السيد عبد القادر الجيلي، وهو أكبر منه سناً، وأجل مقاماً، وأكثر علماً وإنتاجاً؟ هذا إلى أن الجيلي حسني، والرفاعي حسيني، والعارف الشعراني يقول عن تواضعه وفرط أدبه: ما تصدر قط في مجلس، ولا جلس على سجادة، تواضعاً ا. هـ.

وأيضاً: فإن الله تعالى يقول ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ [النور: ٦٣]، أي لا تنادوه، كما ينادي بعضكم بعضاً باسمه أو لقبه: يا فلان أو يا أبا فلان، ولكن عظموه ونادوه: يا نبي الله يا رسول الله، ونحو ذلك من ألقاب التعظيم، وكلمة يا جدي أو يا أبي لا تعظيم فيها، بل من الآداب العامة أن الشخص إذا كان أبوه خليفة أو ملكاً، فإنه يخاطبه أمام الناس بلقب التعظيم نحو يا أمير المؤمنين، يأيها الملك، ولا يقول: يا أبي.

وأيضاً: فإن الواقف أمام الحجرة الشريفة، يعتريه من هيبة المكان، وجلال الموقف، ما ينسيه نفسه وشرفه وعلمه، فلا يمكنه أن يقول: يا جدي، أو يا أبي، وإنما يهتف بشوق يا رسول الله، يا شفيع المذنبين، يا نبي الرحمة، يا حبيب رب العالمين، جئت أطلب شفاعتك، وأرجو رفدك.

وأيضاً: فإن الصوفية قالوا: ينبغي لمن يدخل على ولي من أولياء الله تعالى أن يتجرد من علمه وشرفه وعمله، منتظراً ما يفيضه الله عليه، بطريقة ذلك الولي.

وحكوا: أن أبا الحسن الشاذلي، لما أراد الدخول على مولاي عبد السلام بن مشيش[1]، اغتسل ونوى التجرد من علمه وعمله وشرفه فحصل له الفتح الكبير على يد

---

(١) عبد السلام بن مشيش، من كبار الأقطاب مدفون بجبل العلم من قبيلة بني عروس بمراكش، زرت قبره، وهو في أعلى الجبل، يقام له موسم — عمارة بلهجة المغاربة — في النصف من شعبان، وهو غير سيدي عبد السلام الأسمر المدفون بطرابلس الغرب، وبالقرب من قبر ابن مشيش حجران كبيران متقابلان بينهما فجوة طبيعية في داخلها انحراف وتعاريج، يمكن الدخول فيها والخروج منها بشيء من الحيلة والمرونة، والعامة هناك يعتقدون أن من دخل في تلك الفجوة وكان مرضياً عند والديه خرج منها، ومن كان مسخوط والديه أي عاقاً لهما تمسك فيه تلك الفجوة فلا يخرج بسهولة، وترى الزوار يهرعون إلى ذلك =

شيخه المذكور - رضي الله عنهما - وإذا كان هذا بالنسبة لولي من الأولياء، كيفما كانت رتبته في الولاية، فهل يجوز لزائر سيد المرسل وأفضل الخلق أن يذكر علمه أو شرفه؟

وأيضاً فإن الكمل من الأولياء، حين يدخلون المسجد النبوي، لا يتقدمون لزيارة الروضة الشريفة، إلا بإذن خاص من النبي ﷺ، روينا عن العلامة الشيخ الحطاب شيخ المالكية في وقته: أنه حج مع شيخه القطب الشيخ عبد المعطي التونسي، قال: فلما وصلنا إلى المسجد النبوي، ودخلنا الباب، صار الشيخ يتقدم خطوة، ويقف، ثم يتقدم خطوة، ويقف، وهكذا حتى وصلنا إلى الحجرة الشريفة، فلما انتهينا من الزيارة سألناه عن سبب توقفه مرة بعد مرة، فقال: كنت أطلب الإذن من النبي ﷺ بالقدوم عليه، فإذا قال: تقدم يا عبد المعطي، تقدمت.

حكاية عن الرفاعي باطلة

ثم ذكرت الرسالة قصة أخرى شبيهة بهذه.

إليك نصها: وقد ثبت أن السيد أحمد - رضي الله عنه - لما حج ثانياً في العام الذي توفي فيه، وزار القبر الطيب الطاهر على ساكنه أفضل صلوات الله وسلامه، قال - وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة:

إن قيل زرتم بما رجعتم؟

يا أكرم الرسل ما نقول؟

فظهر صوت من القبر الشريف، سمعه كل من في المسجد المبارك:

قولوا رجعنا بكل خير

واجتمع الفروع والأصول

وهذه القصة مقطوع بكذبها أيضاً، مثل سابقتها، لأنها لو حصلت، لأخبر بها كل من كان في المسجد النبوي، وهم ألوف، لأن الوقت كان موسم حج.

---

* المجرين يقصدون القصص بالدخول بينهما، فمن خرج بسهولة فرح، لأنه مرضي عند والديه، ومن لم يعرف كيف يخرج ساعده الزوار بقراءة القرآن والتوسلات، ويجلده حتى يخرج من بين الحجرين حزيناً خجلاً، لأنه عرف بين الناس بأنه مسخوط الوالدين، وهذه خرافة لا أصل لها.

ومما يدل على كذبها أيضاً: حال النبي ﷺ، بالنسبة لقول الشعر، فإنه لم يتشئ في حياته بيت شعر غير الرجز(١)، وما تمثل ببيت شعر كامل موزون، وإنما كان يتمثل بشطر بيت فقط، مثل: ألا كل شئ ما خلا الله باطل.

ومثل: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

وكان يتمثل أحياناً بشطر بيت مكسور، تمثل مرة بقول القائل:

كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً.

فقال له أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الشاعر يقول:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً.

فأعاده ﷺ مكسوراً كما نطق به أول مرة، فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: صدق الله ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ [يس: ٦٩]، فكيف تزعم تلك القصة المكذوبة أنه ﷺ، أنشأ بيت شعر تام التفاعيل، أجاب به الشيخ الرفاعي مساجلة؟! والعجيب: أن يتقدم الفروع على الأصول، حرصاً على القافية لكيلا تختل!! مع مراعاة لزوم ما لا يلزم!! كأنه ﷺ، كان يباشر فنون الشعر، كما باشرها فحول الشعراء.

نعم، ثبت أن النبي ﷺ، كلم قوماً بلغتهم التي لا يعرفها قريش ومعظم الصحابة، وتلك معجزة من معجزاته الكثيرة، لأن اختلاف اللغات، من آيات الله تعالى.

كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢]، ومعرفة اللغات، علم من العلوم التي أنعم الله بها على نبيه، حيث قال له: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣].

لا يصح خطاب النبي - عليه الصلاة السلام - بكلام فيه لحن:

أما الشعر فقد نزه الله عنه نبيه بقوله تعالى:

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ [يس: ٦٩]، وذم الشعراء بقوله سبحانه ﴿ وَالشُّعَرَاءُ

(١) أما الرجز الذي قاله: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، هل أنت إلا أصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت، فقد جاء عفو الطبيعة، لم يقصده، كما يقصد الشاعر إنشاء بيت مراعياً تفاعيله، على أن بعض اللغويين - لعله الأخفش - يرى أن الرجز ليس بشعر.

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤)﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، وقد وفد عليه ﷺ شعراء، وأنشدوا بين يديه شعراً، فلم يجبهم ببيت، بل كان يثيب المادحين، ويكلف حسان بن ثابت بذم الذامين، وهجاء الهجائين، فليس قول الشعر معجزة، ولا مكرمة، بالنسبة له ﷺ(١).

ثم إن البيت الذي نسبته القصة إلى الشيخ الرفاعي - رضي الله عنه - يشتمل على لحن في الإعراب: وشذوذ في التعبير، فلا يصح أن يخاطب به أفصح الخلق ﷺ، لأنه يؤلمه ويؤذيه، ذلك أن العربي الفصيح يؤذي شعوره، ويؤلم طبعه أن يسمع كلاماً دخله لحن في الإعراب، أو خلل في التركيب، ولهذا كان عمر - رضي الله عنه - يعلو بالدرة من يلحن في الكلام، ويحض على تعلم الإعراب(٢).

وذلك البيت المنسوب إلى الرفاعي، يقول:

إن قيل زرتم بما رجعتم؟

أسقط الفاء الرابطة بين الشرط والجواب، فلم يقل: فبما رجعتم؟ وهذا لحن، ثم أثبت الألف في ما الاستفهامية، في قوله: بما رجعتم؟ والصواب: بم رجعتم؟ لأن ما الاستفهامية إذا دخلت عليها باء الجر، حذفت الفهاء، نحو ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤)﴾ [الحجر: ٥٤]، ولا تثبت إلا شذوذاً على قلة، كما نص عليه الزمخشري في سورة الأعراف، من تفسيره، والظاهر أن الذي صنع القصة كان يجهل قواعد علم العربية، فوقع في هذين الخطأين، وكان يمكنه تجنبهما بأن يقول:

إن قيل زرتم فما استفدتم؟

ثم تأمل قوله: واجتمع الفروع والأصول تجده حريصاً على إثبات الشرف للرفاعي، كما أثبت له الشرف أيضاً في القصة السابقة، بجملة: وعليك السلام يا ولدي، وهذا هو المقصود من القصتين، ولولا ذلك لما نسب إلى النبي ﷺ قول الشعر، أو لأمكنه إذ

---

(١) بل كان العلماء يتبرؤون منه، ويعدونه منقصة ألا ترى إلى قول الإمام الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري

لكنت اليوم أشعر من لبيد

وكان وهب بن منبه يكره التعلق بالشعر، ويقول:

إني أكره أن يوجد في صحيفتي يوم القيامة شعر.

(٢) كثيراً ما كنت أتألم حين أسمع خطباء الجمعة يقولون: وهذا صحيحة عامر بن مليك، وهو من اللحن الواضح الذي يدركه من أتقن باب الحال في الآجرومية وفي القرآن الكريم ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

• نسبه إليه أن يقول :

قــــولوا رجــــعنا بكل خـــيـــر

ونار منا العــــقــــول والقلوب

ويؤيد ذلك قوله – بعد البيتين السابقين – على لسان مؤلف الرسالة : والذي أدين الله تعالى به أن السيد أحمد بن الرفاعي الشريف الفاطمي الحسيني – رضي الله عنه – كان جبلاً راسخاً، وبطلاً جحجاحاً . . . إلخ ؛ فاقحام عبارة : الشريف الفاطمي الحسيني هنا، لا معنى لها إلا الحرص على إثبات الشرف للشيخ الرفاعي – رضي الله عنه – لأن كونه جبلاً راسخاً وبطلاً جحجاحاً، لا يتوقف على كونه شريفاً فاطمياً حسينياً، فقد كان في الصوفية جبال رواسخ، وأبطال جحاجح، وهم لا ينتسبون إلى أهل البيت النبوي، كسيد الطائفة الجنيد، وأبي بكر الشبلي، وأبي القاسم القشيري، وأبي يعزى، وأبي مدين الغوث، وابن العربي الحاتمي، وأبي العباس المرسي، وابن عطاء الله – رضي الله عنهم -

الفصل الثاني

في إبطال نسبة رسالة الشرف المحتم إلى الحافظ السيوطي

اعلم أن كثيراً من المؤلفات نسبت إلى غير مؤلفيها، على سبيل الخطأ.

منها: كتاب الكنز المدفون والفلك المشحون، طبع مرات، منسوبا للحافظ السيوطي، لكنه تأليف الشيخ يونس السيوطي المالكي، تلميذ الحافظ الذهبي.

ومنها: كتاب الرحمة في الطب والحكمة طبع عدة مرات، منسوبا للسيوطي أيضا. وهو تأليف الحكيم المقرى مهدي الصبري. وهذا الكتاب تتبعه بالتجربة صاحبنا المرحوم الشيخ محمد بن الأزرق الغماري الصديقي، فجرب ما ذكر فيه من الأدوية والوصفات من أوله إلى آخره، فلم يصح منه إلا وصف شربة واحدة.

ومنها: مختصر تذكرة القرطبي طبع مرات، منسوبا للشعراني. مع أن مؤلفه فرغ من تأليفه، وعمر الشعراني ست سنوات.

ومنها: كتاب في تفسير الأحلام، طبع مرات، بهامش الجزء الأول من كتاب تعطير الانام للنابلسي، منسوبا لابن سيرين، لكنه لأبي سعيد الواعظ، ولو ذهبنا نعد الكتب التي نسبت إلى غير أصحابها، لطال بنا الحال.

ورسالة الشرف المحتم، نسبت إلى الحافظ السيوطي. إما غلطا وإما عمداً. لا نجزم بأحد الاحتمالين، لكننا نجزم بأنها ليست له، والدليل على ذلك أمور:

الأول: أنه ذكر مؤلفاته في كتابه حسن المحاضرة، وفي فهرسته. وهذه الرسالة غير موجودة فيهما.

الثاني: عزو الحديث في أولها لأبي نعيم، وهو في الصحيح. وهذه غلطة لا تقع في رسالة صغيرة، أنشئت لموضوع معين، إلا من مؤلف لا يعرف الحديث. على أن الحافظ السيوطي عودنا في رسائله الصغيرة أن يفتتحها بذكر ما في الصحيحين أو أحدهما. نعم قد يعزو الحافظ ابن حجر أو الحافظ السيوطي حديثاً إلى غير الصحيحين، وهو فيهما أو في أحدهما. إذا كان ذلك في مؤلف كبير، يتشعب فيه البحث. ويتسع الكلام. أما أن ينشيء رسالة صغيرة، لبحث خاص، ثم يغلط في عزو الحديث، فهذا لم يحصل.

الثالث: الخلاف المذكور في ثبوت الصحبة للشيخ الرفاعي رضي الله عنه، لا يصدر

من الحافظ السيوطي، لمناقاته كلامه في تعريف الصحابي في تدريب الراوي وغيره. وإنما يصدر من رجل لا يعرف في علم الحديث مثقال ذرة.

الرابع: أن الرفاعي رأى اليد الشريفة — على فرض ثبوت تلك القصة المكذوبة — ولم يقل أحد من علماء الحديث: أن الصحبة تثبت بمجرد رؤية اليد. بل هم نفوا الصحبة عمن رآه عليه الصلاة والسلام بعد وفاته، قبل دفنه إذا لم يكن رآه في حال الحياة. فكيف يحكي السيوطي خلافا لم يحصل؟ ثم ما وجه تخصيص الرفاعي بالخلاف؟ مع أن تلك القصة المكذوبة تحكي أن اليد الشريفة رآها كل من في المسجد النبوي. فإن كانت الصحبة تثبت بهذا، فأولئك جميعهم صحابة، لا خصوص الرفاعي.

الخامس: نقله عن الحافظ السخاوي، وبينهما تنافر كبير، وخصومة شديدة. فالسخاوي ترجم للسيوطي في الضوء اللامع، وحط عليه كثيراً، حتى وصفه بعقوق والدته، لتكبيره عليها. وأنه سطا على المكتبة المحمودية، وأخذ منها مؤلفات، أحدث فيها تغييراً يسيراً، ونسبها إلى نفسه. والسيوطي كتب رسالة سماها (الشهاب الهاوي في كبد السخاوي)[1] حط عليه فيها كثيراً، ووصفه بالجهل بعلوم العربية، وكثرة اللحن. كما حط عليه في رسالة ألفها في لفظ خصيصى[2]، وهي في الحاوي.

وقال في المقامة السندسية، يخاطبه:

قل للسخاوي إن تعروك مشكلة
علمي كبحر من الأمواج ملتطم
والحافظ الديمي[3] غيث الوجود فخذ
غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

---

(١) وانتصر للسخاوي بعض الأدباء المعاصرين له برسالة سماها: المنتقد اللوذعي على المجتهد المدعي.

(٢) لفظ خصيصى مقصور. وقع في الشفاء للقاضي عياض. وضبطه السخاوي بسكون الياء على أنه مثنى، فرد عليه السيوطي.

(٣) الحافظ عثمان الديمي بكسر الدال وفتح الياء. وقفت على نسخة من شرح نخبة الفكر، بخطه ذكر أنه تلقاه عن مؤلفه الحافظ ابن حجر. وهذا الشرح مطبوع. وهو مدفون قرب جامع بيبرس بجهة الأزهر. والحق أن الديمي والسيوطي لا يبلغان رتبة السخاوي في الإتقان والتحقيق، ولا في علم الرجال والتاريخ. لأنه لازم الحافظ ابن حجر أكثر من عشرين سنة، وقرأ عليه كتب الحديث والرجال. والسيوطي لم يدرك الحافظ، لكنه تخرج في علم الحديث بكتبه. ولم يتيسر له سماع الكتب الحديثية، فرواها بالإجازة. وقد سطر السيوطي على السخاوي، وإن كان هو في الفنون أحذق من السخاوي. ولا شك أن المكتبة المحمودية كان لها أكبر فضل على السيوطي، فبفضلها صال وجال، في ميادين العلوم التي كتب فيها. ولم يثبت أنه أخذ كتابا لغيره ونسبه إلى نفسه، إلا كتابا واحدا مطبوعا. ذكر لي شقيقنا الحافظ أبو =

فكيف ينقل السيوطي عن شخص يخاطبه بهذا الشعر؟ ومع هذا يوجد في المكتبات: كتاب مطبوع، ينسب للسيوطي ـ اسمه (الحرز المنيع من القول البديع) وهو مختصر كتاب «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للحافظ السخاوي، وذلك المختصر ليس من مؤلفات الحافظ السيوطي.

السادس: نقله عن الفراء، والسيوطي يعلم أن الفراء نحوي لغوي، لا صلة له بالحديث وعلومه. وأظنه لا يجهل أن الفراء معتزلي، لا يعتقد الكرامات، ولا يعترف بالصوفية.

السابع: استعماله في رواية القصة: حدثنا. والسيوطي لا يمكن أن يستعمل هذه اللفظة في الإجازة، لأنها كذب، وهو ثقة.

الثامن: أن السيوطي نقل هذه القصة في تنوير الحلك، بإمكان رؤية النبي والملك، عن بعض المجاميع. ولو كانت عنده مروية، لأسندها هناك. ولم ينقلها عن بعض المجاميع التي يعلم هو قبل غيره أن العلماء قرروا عدم الاعتماد على ما فيها، للجهل بمؤلفها. وأن الاعتماد إنما يكون على كتاب عرف مؤلفه بالعلم والأمانة والثقة.

التاسع: قوله: وإنكار هذه المزية ومثلها، يؤدي إلى سوء الخاتمة. ونحن نجزم أن الحافظ السيوطي لا يقول هذه العبارة أبداً، وإنما يقولها متصوف جاهل. لأن من المعلوم أن المعتزلة وبعض الأشعرية أنكروا الكرامات جملة. بل أنكر بعض المعتزلة معجزة انشقاق القمر، وأولوا قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١] على مجاز الأول[١]. ولا يستطيع عالم أن يزعم أن هؤلاء أو أولئك ماتوا على سوء الخاتمة.

العاشر: قوله: والذي أدين الله تعالى به: أن السيد أحمد بن الرفاعي كان جبلاً راسخاً... إلخ. وهذه الكلمة لا يقولها الحافظ السيوطي، الإمام في علوم البلاغة، وإنما يقولها جاهل لا يعرف مواقع الكلام. إذ الواجب في هذا الموطن أن يقال: والذي أراه.

لأن كون السيد أحمد الرفاعي جبلاً راسخاً، محل نظر، ومجال رأي. فمن ثبت عنده ذلك بقرائن وشواهد، رآه واعتقده. ومن لم يثبت عنده، وأنكر ولاية الشيخ

** الشيخ رحمه الله أنه رأى كتاباً في موضوعه بخطه ومعناه لعالم مشهور من القرن الثامن. قال: وتعجبت حين رأيته كيف حصل هذا من الحافظ السيوطي؟! وذكر لي اسم الكتاب ومؤ . وقد ابتلاه الله بابن طولون الدمشقي أغار على كثير من كتبه فنسبها لنفسه و... [illegible] ...

(١) بفتح الهمزة وسكون الواو، أي المآل أي سيؤول إلى الانشقاق في آخر الزمان. وهذا كقوله ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عصر عنبا يؤول إلى خمر.

الرفاعي أو تكر وجوده من أصله: لم ينقص دينه. وقد نقل الحافظ أبو أحمد ابن عدي أن الإمام مالكا انكر وجود أويس[١] القرني، مع أن الحديث فيه، ثابت في صحيح مسلم. فلم ينقص إنكاره إمامته. وإنما تستعمل تلك الكلمة، فيما يتصل بعقيدة دينية، كأن يقال: الذي أدين الله به أن صفات المعاني ثابتة، أو أن خروج العصاة من النار بالشفاعة ثابت، أو أن المعاد الجسماني حق، وما أشبه هذا من المسائل التي لها صلة وثيقة بعقيدة المسلم. فلهذه الأمور وغيرها، جزمنا بأن رسالة الشرف المحتم، ليست للحافظ السيوطي. والذي يظهر لي في شأنها أحد أمرين:

١ - إما أن يكون كتبها أحد المتصوفة من أهل القرون المتأخرة، وحيث كان مجهول الاسم والشخصية، نسبت إلى السيوطي، كما نسبت إليه المؤلفات المذكورة فيما مر.

٢ - وإما أن يكون أبو الهدى الصيادي الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية، كتبها هو أو بعض أصدقائه، ونسبها إلى السيوطي ضماناً لرواجها.

فقد أخبرني شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى: أن أبا الهدى المذكور، كان له جماعة أصدقاء، يكتبون له مؤلفات في مناقب الشيخ الرفاعي وكراماته وفضائله، ثم ينسبونها لعلماء في القرن الثامن أو التاسع. ومكنه اتصاله بالسلطان عبدالحميد، واستحواذه على عقله، من وضع تلك المؤلفات في مكتبات الآستانة. ثم يوعز إلى بعض أتباعه في الطريق بأن يطبع بعضها. ويخبره بأن نسخة خطية منه توجد في مكتبة كذا، تحت رقم كذا. وكان يقول: إنه من نسل الشيخ الرفاعي رضي الله عنه. وكان على جانب كبير من الذكاء، وسعة الحيلة. وأنا أميل إلى هذا الاحتمال، والقرائن عليه كثيرة من تصرفاته. من ذلك أنه جمع أربعين حديثاً مسندة، نسبها لرواية الشيخ أحمد الرفاعي، قرأتها وهي مطبوعة. وفيها حديث (وأدبني ربي فأحسن تأديبي) وهو حديث شديد الضعف. والشيخ الرفاعي لم يكتب هذه الأربعين، ولا رواها. ولا تجد لها ذكراً في مرويات المحدثين أو الصوفية. ولا في كتب الأثبات والفهارس، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) هو خير التابعين كما صرح به الحديث، أي أفضلهم. وقال الإمام أحمد: أفضل التابعين سعيد بن المسيب. قال الحافظ العراقي: لعل الحديث لم يصل الإمام أحمد أو لم يصح عنده. وقال النووي: أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله. وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه. وقيل: أفضل التابعين الحسن البصري. وقيل: حفصة بنت سيرين. قال بعض العلماء: لا شك أن الأفضلية على الإطلاق لأويس، اتباعاً للنص. وبالعلم النافع لسعيد بن المسيب.

الباب الثالث

في التنبيه على كرامات غير مقبولة ولا معقولة

ما ذكر في مناقب سفيان بن عيينة

منها: أنه حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين.

وهذا غير معقول، فإن الطفل يفطم من الرضاع وهو ابن سنتين. قال الله تعالى ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، في ستة أشهر للحمل، وعامان للرضاع. كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، ثم يتعلم النطق والمشي في عامين أيضاً. فهل كان سفيان يحفظ القرآن وهو يتعلم الكلام؟! بل أقل سن يمكن للصبي أن يحفظ فيه القرآن تسع سنوات. نعم. كان علماء الحديث، يحضرون أطفالهم في سن الرابعة أو الخامسة مجالس سماع الحديث. التماساً للبركة، وطلبا لعلو الإسناد.

وذكر الشعراني في ترجمة سيدي محمد وفا الشاذلي

أنه ألف كتبا في صباه، وهو ابن سبع سنين أو عشر، وهذا غير معقول أيضاً. لا سيما إذا علمت أن سيدي محمد وفا كان أميا، لا يقرأ ولا يكتب.

ومنها: ما ذكر في مناقب السيد عبدالقادر الجيلي

نقلاً عن والدته، قالت: لما وضعت ولدي عبدالقادر، كان لا يرضع ثدييه في نهار رمضان. ولقد غم على الناس هلال رمضان، فأتوني وسألوني؟ فقلت لهم: إنه لم يلتقم اليوم ثديا. ثم اتضح أن ذلك اليوم من رمضان. واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان.

وذكر في مناقب أبي السعود بن أبي العشائر

أنه صام في المهد. كذلك قيل في ترجمة الشيخ إبرهيم الدسوقي: أنه كان يصوم في المهد. وصوم الرضيع غير معقول. إلا أن يكون امتنع عن الرضاع لعلة. كما قال الله تعالى

في موسى عليه السلام ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص: ١٢]، فانظر كيف عبر بقوله ﴿ وَحَرَّمْنَا ﴾ لأن الرضيع لا ينسب إليه فعل، لعجزه مع فقد الإدراك. فكيف يقال: إنه صام نهار رمضان؟! إن صح هذا، صح ما جاء في حديث موضوع: أن يوم عاشوراء تصومه الحيوانات.

ثم إن الكرامة هي الأمر الخارق الذي يظهر على يد رجل صالح في زمن التكليف. ويكون دليلاً على تمسكه بالشريعة، وعمله بأحكامها وآدابها. والرضيع غير مكلف، ولا عاقل.

فإن قيل: ألا يصح أن يقع الخارق للطفل، ويكون إعلاما بأنه سيكون من الأولياء؟

فالجواب: صرح العلماء بأن الخارق قد يقع للنبي قبل نبوته. ويسمونه إرهاصا. وذلك مثل شق صدر النبي ﷺ، وهو عند مرضعته حليمة السعدية، وعمره ست سنوات. ومثل إظلال الغمامة له، في طريقه إلى الشام، حين كان يتأجر لخديجة رضي الله عنها. وحصل عند ولادته عليه الصلاة والسلام خوارق. كل ذلك للإعلام بأنه سيكون نبيا يجب الإيمان به واتباعه. والنبي كما هو معلوم، تحوطه العصمة، ويؤيده الوحي. فكان من المناسب أن يصحب ولادته أو طفولته بعض الخوارق التي تلفت نظر الناس إليه.

لا تقع الكرامة لولي في طفولته

أما الولي فلا معنى لأن يقع له في طفولته خوارق. لأنه إذا بلغ وصار ولياء فلا يجب على الناس أن يؤمنوا بولايته، ولا أن يتبعوه إلا في حدود ما تأمر به الشريعة. ثم هو ليس بمعصوم، ولا يأتيه وحي. وقد يكون الشخص في بداية أمره منغمسا في المعاصي، ثم يتوب ويستقيم، فينال الولاية. وقد يكون وليا، ثم يحصل منه ما يوجب سلبه، فتسلب الولاية عنه، ويعود من عوام المسلمين كما كان. وأنا أعرف شخصا دخل الخلوة[1] ولازم الأذكار والمجاهدة، حتى فتح عليه، ونال الولاية. فتعجل الأمر، وتصدر للمشيخة، وأساء الأدب في حق شيخه. فسلب وعاد كما كان مريدا. فنسبة بعض الخوارق إلى بعض الأولياء في طفولتهم، كذب لا مسوغ له.

---

(١) في زاويتنا الصديقية بطنجة. وولاه مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه برعايته في خلوته. فلما فتح عليه جاء يستأذنه في الذهاب إلى بلده فاس. فأخبره أن هذا أول الفتح. وأن أمامه مقامات لابد له من اجتيازها، فأصر على رأيه، فأذن له. فذهب وحصل له هناك أشياء مع الإخوان. وادعى المشيخة واستقل على منصب شيخه. فسلب وعاد إلى طنجة، فأمره مولانا الإمام الوالد بزاوية للتجارة.

ومنها: ما حكي عن الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه

أنه كان إذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم، يذوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يتداركه اللطف، فيصير يجمد شيئاً فشيئاً، حتى يعود إلى جسمه المعتاد، ويقول: لولا لطف الله بي، ما رجعت إليكم. هذه خرافة، لا يقبلها عقل سليم، وأي عقل يصدق أن جسم الإنسان يتحلل إلى بقعة ماء، ثم يعود إلى طبيعته؟! إن هذا محال، والكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان. والذين يحكون هذه المستحيلات، غير مدركين ما فيها من مناقضة لقضايا العقول، يفتحون على أنفسهم وعلى الأولياء باباً للطعن الشديد، والهزؤ المديد.

ومنها: ما حكي عن الشيخ السيد عبدالرحيم القناوي الغماري رضي الله عنه

أنه نزل يوماً في حلقته شيخ من الجو، لا يدري الحاضرون: ما هو؟ فأطرق الشيخ ساعة، ثم ارتفع الشيخ إلى السماء، فسألوه عنه؟ فقال: هذا ملك، وقعت منه هفوة، فسقط علينا، يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه، فارتفع[١].

هذه الخرافة، ضعفها الشعراني في الطبقات، حيث حكاها بصيغة التمريض. وقد ذكر في مقدمتها: أنه سلك فيها مسلك المحدثين. فما كان من الحكايات والأقوال صحيحاً، حكاه بصيغة الجزم. وما كان منها غير صحيح، حكاه بصيغة التمريض لكنه لم يلتزم هذه القاعدة، إلا في مواضع قليلة من طبقاته، وفي كثير منها حكى بصيغة الجزم طامات، كأنها من القضايا المسلمات. وذلك لغلبة التساهل عليه، مع حب تفخيم الأولياء، وإعلاء شأنهم بين العامة.

بحث في الملائكة عليهم السلام

هذا والمقرر عند جمهور المحققين في شأن الملائكة عليهم السلام، ما يأتي:

١ - أنهم رسل، لقول الله تعالى: ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر: ١]، وهذا عموم يشملهم جميعاً. وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]: من الداخلة على الملائكة للجنس، والداخلة على الناس للتبعيض. ولأن الله تعالى جعل الإيمان بهم ركناً من الإيمان، مثل الرسل.

٢ - أنهم معصومون، لقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

---

١) قد يكون ذلك الشيخ جني، جاء من جهة السقف، يستشفع به.

[التحريم: ٦]، وهذا وإن كان واردًا في خزنة جهنم، يشملهم جميعًا، إذ كانوا كلهم مخلوقين من عنصر واحد، وهو النور. ولأنه لم يجر ذكرهم في القرآن إلا مقرونًا بمدحهم والثناء عليهم. وقصة هاروت وماروت غير صحيحة، كما بيناه في قصة إدريس عليه السلام.

٣ - أنهم أفضل من البشر جميعا إلا الأنبياء عليهم السلام. وعقيدتي: أنهم أفضل من الرسل والأنبياء أيضاً إلا ثلاثة: النبي ﷺ، وإبراهيم وموسى عليهما السلام، فهؤلاء أفضل من الملائكة عليهم السلام.

إذا تقرر هذا فكيف يعقل أن يهفو ملك معصوم؟ ثم يشفع فيه ولي غير معصوم؟! وكيف علم الولي أن الله قبل شفاعته؟! إن الذين يفترون مثل هذه الحكاية، ليرفعوا وليًا فوق منزلته، بإنزال ملك عن رتبته. يجب أن يعلموا أن الملائكة عباد مكرمون، كما وصفهم الله تعالى. وأن إلحاق نقص بأحدهم حرام، كإلحاقه بأحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومنها. ما حكي من الكرامات، في مناقب السيد أحمد البدوي. وقبل أن نذكر بعضها، نذكر نبذة عنه، يقتضيها المقام.

فكرة الأقطاب الأربعة لا أصل لها

لقد اشتهر في مصر، فكرة الأقطاب الأربعة، وأن السيد البدوي أحدهم. ولا ندري مستندهم في هذه الفكرة، وفي الصوفية أقطاب يفوقون هؤلاء الأربعة، مثل سيدي عبدالسلام بن مشيش وتلميذه أبي الحسن الشاذلي[1]، وأبي مدين الغوث وتلميذه ابن العربي الحاتمي، وسيدي عبد العزيز الدباغ، ممل كتاب الإبريز على تلميذه الإمام العلامة المحقق الشيخ أحمد بن المبارك اللمطي. وهذا القطب الدباغ طراز غريب في أقطاب الأمة

---

(١) قال القطب شمس الدين محمد الحنفي رضي الله عنه: وجدت مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أعلى من مقام سيدي عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه. بسبب أن سيدي عبدالقادر سئل يوما عن شيخه؟ فقال: أما فيما مضى فكان شيخي حمادا الدباس، وأما الآن فإني أستقي من بحرين: بحر النبوة، وبحر الفتوة، يعني ببحر الفتوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأما سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، فقيل له: من شيخك؟ فقال: أما فيما مضى فكان شيخي سيدي عبدالسلام بن مشيش، وأما الآن، فإني أستقي من عشرة أبحر: خمسة سماوية، وخمسة أرضية. قلت: ولا شك أن مقام سيدي عبدالقادر الجيلاني. أعلى من مقام بقية الأربعة، على أن السيد البدوي ليس بقطب كما يأتي بيانه.

المحمدية. فهو مع كونه أمياً، أعطي من حقائق العلوم والمعارف ما يدهش كبار العلماء العارفين. توفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله عنه، ولو طال عمره، لرأينا من علومه العجب العجاب (١).

ثم كون السيد أحمد البدوي أحد الأقطاب الأربعة، ليس بصحيح. بل هو لم يبلغ درجة القطبانية، وقد قلت هذا في بعض دروسي التي ألقيتها في شرمساح، من الدقهلية(٢).

أحمد البدوي مجذوب وليس بقطب

وأضفت: أنه مجذوب فعارضني الحاضرون، وكان أكثرهم معارضة، شيخاً أزهرياً معترضاً على الشيخ الإسنابي. ولم يكن لهم من حجة، إلا ما شاع عند الناس من كراماته ومناقبه. لكن ما أقوله، يؤيده البحث العلمي البعيد عن العاطفة والتعصب. وإليك البيان:

أما أنه لم يبلغ رتبة القطبانية، فلأنه لم يسلك على يد شيخ مربي. غير أنه لما كان بفاس، وعمره ست سنوات، أخذ أخوه الأكبر السيد حسن الطريق عن الشيخ عبدالجليل النيسابوري، وأحضره معه إلى الشيخ، فأخذ عنه تبركاً، ولا يعرف له شيخ غير هذا.

وأما أنه مجذوب فذلك مستفاد من ترجمته. فقد ذكر الذين ترجموه وهم الشيخ عبدالصمد زين الدين، وتقي الدين المقريزي، والشعراني والخفاجي وغيرهم: أن أخاه

---

(١) رأيت فتاوى الخواص التي جمعها الشعراني. ورأيت كشف الران عن وجه أسئلة الجان. للشعراني أيضاً لكن كلام الدباغ أعلى، وأجوبته أدق.

(٢) في شهر رمضان سنة ١٣٥٧ هجرية. ومما حصل في تلك البلدة أن أهلها طلبوا مني درساً في شرح قصة الإسراء والمعراج، فألقيته، وذكرت فيه أن جبريل كان يركب البراق مع النبي ﷺ. فعارضني ذلك الشيخ أيضاً، يدعي أن جبريل كان ممسكاً بالركاب.. فقلت له: هذا غير صحيح، وأصر على قوله، ولم يكن معي كتاب. فسألت: هل يوجد في البلد مكتبة فيها بعض كتب الحديث والسيرة؟ فأخبرني الحاج عبدالخالق إبراهيم الزهيري: أن المنصورة يوجد بها مكتبة البلدية، وكان الوقت ليلاً، فاتفقنا أن نذهب إليها صباحاً. وكان معي عالم أزهري، أوجس في نفسه خيفة، وسألني على انفراد: هل أنت واثق مما تقول؟ قلت: نعم، كما أثق بوجودك معي، وفي الصباح ذهبنا إلى المنصورة ودخلنا المكتبة. وطلبت كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، فأوقفت الحاج عبدالخالق على الحديث المصرح بأن جبريل كان يركب البراق مع النبي ﷺ. فكتبه وأطلع عليه ذلك الشيخ فسكت. وقصة المعراج فيها أشياء دخيلة تحتاج إلى بحث وتمحيص.

الأكبر السيد حسن أدخله المكتب بمكة، ليحفظ القرآن مع ابنه الحسين. فلما حدثت له حادثة الوله، تغيرت أحواله. واعتزل عن الناس، ولازم الصمت. فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة. ولما ذهب إلى طنطا، أكثر من الصياح ليلا ونهاراً. ودخل دار شخص من مشايخ البلد، اسمه: ابن شحيط. فطلع إلى سطح داره، وكان طول نهاره وليلة قائما، شاخصا ببصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقد كالجمر. وكان يمكث الأربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. ثم نزل من السطح وخرج إلى فيشا المنارة، فتبعه الأطفال، كما يتبعون المجاذيب. ثم لزم السطح إلى أن مات. وكان إذا لبس عمامة أو ثوبا، لا يخلعه لغسل ولا لغيره، حتى يذوب، فيستبدلونه له بغيره. وقد سمي بالسطوحي، للزومه سطح دار ابن شحيط، وسمي أصحابه بالسطوحيين. فهذه الأحوال، تؤكد انه مجذوب[1]. لأن القطب لا يصيح، فضلا عن أن يكثر الصياح، ولا يلزم سطح دار، ولا يمكث الأيام والليالي ينظر إلى السماء. بل هو يحافظ على الصلاة في وقتها، مع حضور الجماعة والجمعة. ويستحم ويغسل ثيابه إذا اتسخت، ويلبس الثياب النظيفة. وإذا نزل ضيفا على شخص، لا يمكث عنده أكثر من ثلاثة أيام، مدة الضيافة، ولا يتخذ بيت مضيفه مركزا له ولأصحابه. وإذا أراد أن يسكن ببلد، فإنه يستأجر فيه بيتا أو يشتريه. ويتباعد من شيوخ البلد وأمثالهم، لأنهم لا يخلون من ظلم بعض الناس. وإذ أتاه واحد منهم، نصحه ووعظه برفق. هذه هي أحوال القطب الذي هو على قدم النبي ﷺ. واقرأ سير الأقطاب، وكمل الأولياء. فلا تجد أحداً منهم أخل بأحكام الشريعة أو تهاون فيها، أو اعترته حالة غاب فيها عن الشعور أياما وليالي، أو اتخذ سطحا مقرا له، أو احتل دارا من غير استئذان صاحبها إلى غير ذلك من أحوال المجاذيب.

بعض كرامات البدوي

ويؤيد ما قلناه: هذه الحادثة: جاء الشيخ محمد المسمى بقمر الدولة إلى طنطا، فعلم أن السيد أحمد البدوي مريض. فدخل عليه يزوره، وكان الشيخ عبدالعال غائبا. فوجد السيد أحمد قد شرب ماء بطيخة، وتقايأه فيها ثانيا: فأخذه الشيخ محمد المذكور وشربه، فقال له السيد البدوي: أنت قمر دولة أصحابي. فلو كان قطبا، لما مكنه من شرب القيء. بل كان ينهاه عن شربه، ويبين له أن شرب القيء حرام، لأنه نجس. لكنه

---

(١) ومثله في المغرب سيدي علي بن حمدوش، كان شريفا مجذوبا. وله اتباع يعرفون بالحمادشة، لهم زوايا في انحاء المغرب. وفي حالة حضرة الذكر يضربون رءوسهم بالشواقير. أي الشواطير.

مجذوب، يستحسن ما هو حرام، غير مدرك حرمته . ومما نقلوه من كراماته : أن الإمام تقي الدين بن دقيق العيد قاضي القضاة بالديار المصرية(١) . سمع بالشيخ وأحواله . فذهب إليه بطنطا واجتمع به . وقال له : يا أحمد هذا الحال الذي أنت فيه، ما هو مشكور، فإنه مخالف للشرع الشريف . فإنك لا تصلي(٢)، ولا تحضر الجماعة، وما هذه طريقة الصالحين. فالتفت إليه السيد أحمد البدوي وقال له : اسكت، وإلا أطير دقيقك. ودفعه دفعة ؛ فلم يشعر بنفسه إلا وهو في جزيرة واسعة، لا يعلم لها طولا ولا عرضا . فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها، وهو ذاهل العقل، غائب عن الصواب . ويقول : مالي ومعارضة أولياء الله تعالى؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وصار يبكي ويستغيث، ويبتهل إلى الله تعالى . فبينما هو كذلك، ظهر له رجل ذو هيبة ووقار . وسلم عليه، فرد عليه السلام، وقام إليه، وجعل يقبل يديه ورجليه . فقال له : ما قضيتك؟ فأخبره بخبره . فقال له : لقد وقعت في أمر عظيم . أتدري كم بينك وبين القاهرة؟ قال : لا . قال : والله بينك، وبينها سفر سنين ستة — لعله يقصد بمسير السلحفاة!! — فازداد هما على همه، وغما على غمه، وكبر في قلبه الخوف . وقال : يا ترى من يخلصني من هذه الورطة؟ إنا لله وإنا إليه راجعون . وأقبل على الرجل يقول له : أرشدني يرحمك الله . فقال له : هون عليك الأمر فما يحصل لك إلا الخير إن شاء الله تعالى ؛ قال : وكيف لي بذلك؟ فأخذ بيده، وأراه قبة كبيرة . وقال له : ترى هذه القبة؟ اذهب إليها، واجلس فيها . فإن سيدي أحمد البدوي يصلي فيها العصر بجماعة من الرجال . ويودعونه وينصرف كل منهم إلى حال سبيله . فإذا صليت معهم، فتعلق به ؛ وتملق بين يديه، وقبل يديه ورجليه . واكشف رأسك، وتأدب معه . وقل له : استغفر الله وأتوب إليه . ولا أعود لما صدر مني . فإذا رأى منك ذلك، فإنه يقبل عليك، ويردك إلى موضعك إن شاء الله تعالى . وكان ذلك الرجل، هو الخضر عليه السلام . فذهب الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد إلى القبة، وجلس فيها . فما كانت إلا هنيهة، حتى أقبلت الجماعة من كل جانب ومكان . وأقيمت الصلاة، فتقدم السيد أحمد البدوي، وصلى بهم إماما . فلما انقضت الصلاة، تعلق به ابن دقيق العيد . وكشف رأسه، وجعل يقبل

---

(١) تفقه على مذهبي مالك والشافعي، ثم بلغ رتبة الاجتهاد المطلق . وكان حافظا للحديث . لكن عنايته بالمتون أكثر من عنايته بالأسانيد، لأجل الاستنباط وعدوه في المجددين .

(٢) تأمل هذه الجملة، وتذكر هل سمعت بأن قطبا لا يصلي؟

يديه ورجليه . ويبكي ويستغفر ويعتذر . وانصرف من نفسه . فأقبل عليه السيد أحمد البدوي، وقال له: ارجع عما كنت فيه، ولا تعد إلى مثله(١).

فقال له : السمع والطاعة يا سيدي . فدفعه دفعة لطيفة، وقال : اذهب إلى بيتك، فإن عيالك في انتظارك . فلم يشعر ابن دقيق العيد، إلا وهو واقف بباب داره بمصر. فأقام مدة ببيته لا يخرج منه، لما جرى له مع السيد أحمد البدوي. حكى هذه القصة الشيخ عبدالصمد زين الدين في الجواهر السنية، عن شمس الدين محمد المعروف بالحلبي، عن زين الدين ابن النقاش، المكنى بأبي هريرة، وهي قصة مكذوبة. **والغرض من صياغتها أمران :**

١ ــ تعريف الناس أن السيد البدوي إذا كان لا يصلي ولا يحضر الجماعة في مساجد طنطا، فإنه كان يصلي إماما بجماعة من الرجال، في جزيرة واسعة تبعد عن مصر بمسافة ستين سنة!!

ولعل تلك الجزيرة من جزر واق الواق . أو تقع خلف جبل قاف!! . فلا يصح الاعتراض عليه بأنه لا يصلي، ولا يحضر الجماعة .

٢ ــ أن من يعترض عليه، يناله العقاب السريع . ولو كان في اعتراضه متمسكا بالشريعة . وهذا خلاف ما صرح به الصوفية، حيث قالوا: من اعترض على ولي لتقصيره في بعض أحكام الشرع، أو خروجه عليه . فلا يستطيع ذلك الولي إذايته، لا بدعاء عليه، ولا بكرامة .

وهذا الحسين بن منصور الحلاج، لما حكم العلماء بقتله، لما صدر عنه من عبارات كفرية . وأراد أن يمتنع من تنفيذ الحكم بإظهار خارق، قال له بعض الصوفية: سلم لحكم الشرع . فسلم، وقتل عفا الله عنا وعنه . والصلاة أهم أركان الدين، سمى النبي ﷺ تاركها كافرا . وحضور الجماعة واجب، لا رخصة في تركه إلا لضرورة ملحة . جاء أعمى يستأذن النبي ﷺ أن يرخص له في الصلاة في بيته، لأنه ليس له قائد، فرخص له . فلما ولى، دعاه فسأله : « هل تسمع النداء؟ » قال : نعم . قال « فأجب » ولم يرخص له(٢).

---

(١) اتدري ما كان فيه؟ كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مع تقوى واستقامة، والوقوف على حدود الشريعة وعدم تعديها .

(٢) وكان الربيع بن خثيم يأتي مسجد الجماعة يهادى بين رجلين لمرضه . فيقول له الناس : إن الله قد رخص لك، فيقول : فماذا أصنع في منادي ربي وهو يقول : حي على الصلاة؟

وكذلك الجمعة، فرضت بالقرآن، وقال النبي ﷺ «من ترك ثلاث جمعات متواليات من غير عذر طبع الله على قلبه» فكيف يصح لولي أن يترك الجماعة والجمعة[١] بدعوى أنه يحضرها في بلد يبعد عن بلده ستين سنة؟! ثم إذا نصحه إمام مثل ابن دقيق العيد مجدد القرن السابع، يقال له: تب إلى الله ولا تعد! م يتوب إلى الله؟ من النصيحة التي جعلها النبي ﷺ دينا، حيث قال «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» والعجيب أن يظهر له الخضر عليه السلام فيهول عليه الأمر ويبين له عظم ما أتاه، حيث نصح السيد البدوي!!! ويشير عليه بأن يذهب إلى السيد البدوي ويتعلق بأذياله، ويكشف رأسه ويقبل يديه ورجليه!!! لأنه لم يكن يعلم أن السيد البدوي أعلى من أن تقدم له نصيحة، وأرقى من أن يوجه إليه لوم. لكن صانع القصة، لم يكن يعرف خلق الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، فقد كان عالي الهمة، أبي النفس[٢]. تكسوه عزة الإيمان، ويعلوه وقار العلم. لا يمكن أن يتملق لأحد، أو يقبل رجليه ولو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم كيف يأمر الخضر عليه السلام الإمام ابن دقيق العيد بالتملق لغير الله تعالى؟! وهو — أعني الخضر عليه السلام — يعلم أن الله بعث إليه موسى عليه السلام، تكريما له لفضل علم عنده. فكيف يصغر العلم في شخص الإمام ابن دقيق العيد، وهو عالم ممتاز يقل مثله في علماء الأمة المحمدية؟! والحاصل أن في القصة تغيرات، تقضي بأن صانعها لم يتقن صياغتها. ولو فرضنا صحتها، فهي أدل دليل على أن السيد البدوي كان مجذوبا. إذ تصرح بأنه كان لا يصلي ولا يحضر الجماعة، وأن حاله مخالف للشرع. وأنه أجاب الإمام ابن دقيق العيد بقوله: اسكت وإلا أطير دقيقك. وهذا جواب جاف، لا يصدر من شخص في حال وعيه وتمام عقله. وهكذا كلما أراد المتغالون أن يرفعوه إلى مصاف الأقطاب، صاغوا له من الكرامات، ما يقضي بأنه من أكبر المجاذيب.

---

(١) وكيف يترك الصلاة في مسجد يسمع نداءه، وتجب إجابته؟ ثم يصليها في مسجد لا يجب عليه الانتقال إليه، ولا يطالب بالصلاة فيه. وقد قرر العلماء أن الولي إذا كان فقيرا لا يملك الزاد والراحلة، لا يجب عليه الحج. ولو كان يستطيعه بطريق طي المكان، أو الخطوة كما يقال، لأن التكليف إنما يتعلق بالأفعال المعتادة لا بالخوارق.

(٢) مما يدل على إباء نفسه وعزتها: أنه لعب مرة الشطرنج — وهو شاب حدث — مع صهره وكان من العلماء، وحضر وقت الصلاة فصليا. وبعد انتهاء الصلاة، سأل صهره: أتلعب ثانيا؟ فأجابه: نعم، وأنشد:

إن عادت العقرب عدنا لها	وكانت النعل لها حاضرة

فترك الشطرنج من ذلك الوقت، ولم يعد إليه.

قصة مع فاطمة بنت برى

واختلقوا له قصة مع فاطمة بنت برى بأرض العراق، ذكرها عبدالصمد زين الدين في الجواهر السنية، والخفاجي في النفحات الأحمدية. وهي قصة طويلة، فيها مبالغات غير معقولة(١) بل ذكروا في رحلته للعراق خوارق، لا يقبلها العقل. فلا أدري كيف حكاها أولئك المغالون مصدقين لها؟

وذكروا أن الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد أيضاً، كلف الشيخ عبدالعزيز الديريني أن يذهب إلى السيد البدوي، وقال له: امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل الناس بأمره، وأعطاه مسائل يمتحنه بها. فأجاب عنها بأحسن جواب، وقال: هذا الجواب مسطر في كتاب الشجرة، فوجدوها في الكتاب كما قال! لكن ما هو كتاب الشجرة؟ وما موضوعه؟ وأين يوجد(٢)؟ لعله يوجد في تلك الجزيرة التي دفع إليها الإمام ابن دقيق العيد؟! ويزيد بعضهم في هذه الحكاية: أن الشيخ عبدالعزيز الديريني لما دخل على السيد البدوي قال له قبل أن يتكلم: سلم على قاضي القضاة، وقل له: يصلح غلطا في المصحف الذي عنده معلقا في صدر البيت، غلطة في سورة يس، وغلطة في سورة الرحمن. ولما راجع المصحف(٣)، وجد الامر كما قال! وذكروا أن امرأة أسر ولدها في

---

(١) ثم لفقها استغلالا لما فيها من سجع سمج، وكذب سخيف.

(٢) من أنواع علوم اللغة: المشجر. كتب فيه كثير من أئمة اللغة كتبا سموها «شجر الدر» منهم أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي. قرأت كتابه بخط السيوطي. وموضوعه مداخلة الكلام للمعاني المختلفة. مثل العين عين الشمس: والشمس شماس الخيل، والخيل الوهم؛ والوهم الجمل الكبير، والجمل دابة من دواب البحر، والبحر الماء الملح، والملح الحرمة والحرمة ما كان للإنسان حراما على غيره، والحرام حي من العرب، والحي ضد الميت. وبالضرورة هذا غير مقصود في كلام السيد البدوي، كما أنه لم يقصد الكتب التي تشتمل على شجرة النسب.

(٣) وهل من المعقول: أن يكون في مصحف الإمام ابن دقيق العيد غلطتان وهو المجتهد الذي يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، ثم لا يعرف تينك الغلطتين، حتى يدله عليهما مجذوب؟! ومثل هذه الحكاية ما يحكى عن الشيخ الأنبابي: أنه كان يدرس التفسير بالأزهر، فوصل إلى قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فقرأها أذنيا بعونك؟ وكتب كراسة في توجيه هذه الجملة. ولما جاء إلى الأزهر صباحا. وقرأ المقرىء الآية، التي هي موضوع الدرس، سمعها الشيخ صحيحة، فأدرك أن ما كتبه مبني على تحريف للآية لم يعلم به إلا في تلك اللحظة! وأجل الدرس إلى اليوم التالي. فهذه الحكاية؛ واضحة البطلان. قصد بها خصوم الشيخ الإنبابي التنكيت عليه. كما قصد المخرفون بتلك الحكاية التشنيع على ابن دقيق العيد.

الحرب الصليبية، فلجأت إلى السيد البدوى، فأتاها به في قيوده. وقد اشتهرت هذه الحادثة في مصر، حتى صاروا يقولون: الله الله يا بدوى جاب اليسرى.

أي جاب الأسرى. وذكروا أنه نقل أسرى بعد وفاته أيضاً، وهو كذب بل ذكر بعض الناس الذين لا يتقون الله: أنهم كانوا يرون السيد البدوى يخرج من قبره، فيتلقى بيده بعض القنابل التي ألقتها الطائرات الألمانية أو الإيطالية خطأ في الحرب الأخيرة، ويضعها في مصرف، حتى لا تنفجر!! وحكايته مع ابن اللبان هول بها المتغالون وطنطنوا مع أنها كذب مكشوف. وحاصلها:

أن العلامة شمس الدين محمد بن اللبان، حضر من دمشق إلى القاهرة في مهمة واستقبله قاضي القضاة بمصر، واحتفى به. وبعد صلاة العشاء، خرج هو وقاضي القضاة يمشيان في بعض شوارع القاهرة فلقيا رجلا من أتباع السيد البدوى، يذكر ويقول: السلام عليك يا رسول الله، والسلام عليك يا أحمد يا بدوى: فعجب ابن اللبان، والتفت إلى قاضي القضاة، يسأله عن هوية ذلك الرجل الذى يصيح بالليل في الشوارع، ويشرك شيخه في السلام مع رسول الله ﷺ؟ فتلمس قاضي القضاة بعض العذر لذلك الرجل. ولكن ابن اللبان، قال: يجب تأديبه وتعزيره. فلما نام تلك الليلة، رأى في منامه، كأن سقف الجامع قد انشق، ونزل منه شخصان. جلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه. فقال الأول: نسلبه الإيمان، فرد عليه الآخر: لا، بل نسلبه العلم والقرآن، وتبقى عليه الإيمان، فإنه وقع في حق سيدى أحمد البدوى رضي الله عنه. ثم أمسكه الرجلان فهزاه هزا شديداً، فطمس الله على قلبه، وانتزع العلم والقرآن من صدره!! فأصبح لا يحفظ آية من القرآن، ولا يعرف مسألة علمية. وحضر الناس لصلاة الفجر، فاعتذر لهم، فصلوا وانصرفوا. ولما طلع النهار، أخبر قاضي القضاة بما حصل له بسبب ذلك الرجل الأحمدى! فعرض عليه قاضي القضاة أن يحضر له الفقراء الأحمدية، يعتذر إليهم ويسترضيهم. لكنه اقترح أن يذهب بنفسه إليهم في زاويتهم. فلما وصلا إليها، وقابلا أحد الفقراء الأحمدية. قال لهما قبل أن يكلماه: والله يا محمد ما بيدى حل ولا ربط فسأله قاضي القضاة: ما الخبر؟ قال: سلب القرآن والعلم. فقال له قاضي القضاة: ياسيدى لوجه الله. وصار يتذلل له، وابن اللبان يبكي، فرق قلب الأحمدى. وقال لابن اللبان: تتوب إلى الله تعالى؟ قال ابن اللبان: نعم ولا أعود لمثلها. قال الأحمدى: سافر إلى سيدى ياقوت العرشي بالإسكندرية، فإنك تلقى الفرج على يديه إن

شاء الله تعالى[١]. فسافر إلى الإسكندرية، ودخل على ياقوت العرشي في زاويته. فلما رآه، قال له: ياشمس الدين ما الذي أوقعك في هذه الورطة العظيمة؟!! اذهب وتوضأ وصلّ. فقال ابن اللبان: إنه نسي القرآن. فأمره الشيخ أن يشتغل بالذكر. وبعد ثلاثة أيام، رأى في المنام النبي ﷺ، جالساً على كرسي عال من نور، والأنبياء كلهم على كراسي. والسيد البدوي واقف بين يديه، وهو يقول له: ياأحمد لا جعلنا طيب خاطرك على محمد بن اللبان، ثم التفت إلى ابن اللبان، وقال له: أما علمت أن من أولياء الله تعالى من هو تحت جناحي الأيمن، ومنهم من تحت جناحي الأيسر، وأحمد البدوي تحت جناحي الأيمن. فاستيقظ ابن اللبان، وأسرع إلى باب الخلوة. فوجد الشيخ ياقوت العرشي واقفاً بهدر، وله زئير كالأسد! وقال له: يا محمد أبشر فقد قضيت حاجتك. فإني سقت عليه جميع الأولياء، فلم يقبل. فسقت عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ، وقد رأيت بعينك.

فسافر الآن إلى طنطا، وطف حول صندوق سيدي أحمد البدوي[٢] وأقم عنده ثلاثة أيام، فإن حاجتك قد قضيت. فذهب ابن اللبان إلى طنطا. وأقام عند ضريح السيد البدوي ثلاثة أيام، يطوف ويبكي ويتضرع. وفي الليل، ينام عند رجليه. وفي الليلة الثالثة، رآه في المنام. يقول له: لا تعد لمثلها، فو الله لولا جدي رسول الله ﷺ، لسلبتك الإيمان!! ثم وضع يده على صدره، فعاد إليه حاله وعلمه!! ولما استيقظ ابن اللبان وجد نفسه يحفظ القرآن، ويعرف العلم كما كان!!!

هذه قصة ابن اللبان، لعن الله من اختلقها، فقد كان وقحا قليل الأدب. لا يعرف قدر النبي ﷺ، ولا يجله الإجلال اللائق بمقامه العظيم.

ثم ماذا فعل ابن اللبان حتى استحق هذا العقاب؟ أنه أنكر على الفقير الأحمدي أمرين منكرين:

---

(١) في رواية ذكرها الشعراني في الطبقات أن الشيخ ياقوتا العرشي ذهب إلى السيد البدوي، وكلمه في القبر وجاوبه!! وقال له: أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رسماله — أي رأس ماله — فقال: بشرط التوبة. فتاب ورد عليه رسماله. بعد أن دار ابن اللبان على الأولياء. فلم يقدر أحد منهم أن يدخل في أمره إلا العرشي!! والرواية التي أوردناها، ذكرها صاحب الجواهر السنية، والتضارب بين الروايتين، دليل على الكذب.

(٢) كيف يأمره العرشي بالطواف حول الضريح؟ وكيف قبل ابن اللبان هذا الأمر المخالف للشريعة؟

١ ـ إشراك شيخه مع النبي ﷺ في السلام.

٢ ـ صياحه بعد صلاة العشاء، وهو وقت نوم الناس وراحتهم. وإذا نهى العالم عن منكر، أو أمر بمعروف، أو نبه على خطأ، فإنه يستحق الشكر والتقدير، لا العقاب والتعزير، لكن يظهر أن المفاهيم انقلبت عند أهل الطريقة الأحمدية وشيخهم. فهم يرون النصيحة ذما، ويعتبرون التنبيه على خطأ يقع من أحدهم، إزراء بهم وبشيخهم. فلذلك يختلقون حكايات تخبر بنزول العقاب الشديد السريع، على من وجه نقداً إلى السيد البدوي أو أحد أتباعه. مثل هذه الحكاية، وحكاية ابن دقيق العيد.

ومثل ما حكوه: أن شخصا أنكر حضور مولد السيد البدوي الذي يقام بطنطا كل سنة: فسلب الإيمان، فلم تكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام. فاستغاث بسيدي أحمد البدوي!![١] فقال: بشرط ألا تعود! فقال: نعم. فرد عليه ثوب إيمانه! ثم قال له: وماذا تنكر علينا؟ فقال: اختلاط الرجال والنساء[٢].

فقال له السيد البدوي: ذلك واقع في الطواف، ولم يمنع أحد منه. ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته. وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار، أحميها من بعضها، أفيعجزني الله عن حماية من يحضر مولدي؟ وفي هذه الحكاية أشياء، تخدش دين السيد أحمد البدوي، وتثبت نقص إدراكه. فإن سلب الإيمان عمن ينتقده. معناه: أنه يحب لمنتقده الكفر، ويرضى له به. ومحبة الكفر، أو الرضا به، كفر. وقد نص العلماء على أن كافراً لو أتى إلى خطيب يخطب الجمعة، وقال له: أريد الإسلام. وجب على الخطيب أن يلقنه الشهادة في الحال. ولو قال له: انتظر حتى تنتهي الخطبة كفر. لأنه رضي بقاءه على الكفر مدة الخطبة. فانظر كيف نسب المتغالون الكفر إلى السيد البدوي وهم لا يشعرون؟ هذا إن فرضنا صحة ما حكوه من سلب الإيمان. وإلا فإن الإيمان لا يقدر على سلبه أو إثباته السيد البدوي، ولا من هو أقوى منه وأفضل. وإنما هو خاص بالخالق القادر المقتدر سبحانه. فإذا سمعت أن وليا أو نبيا أو ملكا، نزع الإيمان من قلب شخص، أو رده إليه، فاعتقد أنه كذب محض. ومن

---

(١) نسي أن يستغيث بالله تعالى!

(٢) قد يكون هذا أهون ما يقع في الموالد التي تقام للأولياء، ويكون فيها أنواع من المعاصي: زنا ولواط وخمر.

دعاء النبي ﷺ « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فسألته بعض أمهات المؤمنين عن هذا الدعاء الذي كان يكثر منه؟ فقال لها « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبه كيف يشاء » وقياس المولد على الطواف ، يقتضي أن السيد البدوي مجذوب ، لا يعي ما يقول . فإن الطواف عبادة ، جعله الله ركنا من أركان الحج والعمرة . والطائف لابد أن يكون متجرداً من ثيابه ، يحرم عليه مس الطيب ، وقربان زوجته ، ولو فعل ، بطل حجه أو عمرته . أما المولد فقد أحدثه الشيخ عبد العال ، بعد موت شيخه ، ولو فرضنا أنه حدث في حياة السيد البدوي ، فهو بدعة . وكيف تقاس البدعة على العبادة؟ إلا أن يقال : إن المولد فيه طواف بالضريح ، فأشبه الطواف بالكعبة!

ثبت عن القطب الكبير سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه أنه قال : سألت الله أن يشفعني فيمن جاء إلي زائراً . هذا كلام معقول ، ولي أحب أن يكافيء زواره فسأل الله أن يشفعه فيهم . وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ، ثابتة بالسنة الصحيحة . وابن مشيش مع كونه من كبار الأقطاب ، مات شهيداً قتله أبو الطواجن ، مدعي النبوة . لكن من غير المعقول ، ولا من المقبول : أن يقول السيد البدوي : وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي ، إلا تاب وحسنت توبته . لأنه أتسلاء على الله[1] ، واجتراء على الغيب . وقوله : وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار ، وأحميها من بعضها ، مردود بلا نزاع . فالذي يرعى المخلوقات ، ويحميها من بعضها هو الله سبحانه وتعالى ، لا أحد سواه ، كائنا من كان .

وذكروا من كراماته : أنه كان ملثما بلثامين ، لا يخلعهما . فقال له تلميذه الشيخ عبد المجيد يوما : يا سيدي أريد أن أرى وجهك أعرفه . فقال : ياعبد المجيد كل نظرة برجل . فقال : يا سيدي أرني ولو مت . فكشف له اللثام الفوقاني ، فصعق ومات!! كان الخاصة قبيح المنظر ، بحيث كان النساء يخوفن أطفالهن به . لكن يظهر أن السيد البدوي فاقه في قبح المنظر ، بحيث من نظر إليه ، يصعق ويموت! ولهذا كان متلثما بلثامين ، يستر بهما وجهه ، لا يخلعهما إلا إذا زاره أخوه السيد حسن ، ولم يكن أحد من عائلته متلثما غيره[2] . هذا هو التعليل الصحيح لموت عبد المجيد حين رأى وجه شيخه ، إن صحت هذه الحكاية . لكنها غير صحيحة ، مثل باقي الحكايات التي افتروها

---

(١) إن الله لا يحب من يتألى عليه .

عليه، وهي كثيرة.

بعض كرامات إبراهيم الدسوقي

وذكر الشيخ عبد الجواد الشربيني في كتاب درر الأصداف: أن سبعة من القضاة ركبوا النيل إلى دسوق، ليمتحنوا الشيخ إبراهيم الدسوقي. فلما وصلت المركب إلى دسوق، أرسل إليهم النقيب، فدفعهم فوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف!

فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض، حتى تغيرت أجسادهم وخلقت ثيابهم. ثم تذكروا ما وقعوا فيه، فتابوا هنالك.

فأرسل لهم النقيب، فدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق، ومسح الله من قلوبهم تلك الأسئلة كلها! واعترفوا بما كانوا جاؤا لأجله. فقال لهم الشيخ: قولوا ما عندكم من المسائل، فضحكوا.

وقالوا: يكفينا ما جرى لنا! فأخذوا عليه العهد، وصاروا تلامذته. هذه الحكاية مكذوبة، والصنعة فيها ظاهرة — وأولئك القضاة الرؤساء الذين قعدوا خلف جبل قاف مشردين: ألم يكن لهم أهل وأقارب يسألون عنهم؟ ألم تكن عندهم قضايا يدرسونها ويفصلون فيها بين أصحابها؟ وهل أعتبرهم قاضي القضاة ماتوا؟ أو اختطفوا؟ أو ماذا؟؟ يجوز أن يكون نقيب الشيخ اتصل بأهاليهم وبقاضي القضاة، وأخبرهم أنهم أبعدوا إلى جبل قاف لمدة سنة زجراً لهم وتأديباً!! لقد كان لصانع هذه الحكاية أن يصوغها على غير هذا الوجه، بأن يقول: فلما وصلت المركب إلى دسوق، وقابلوا الشيخ، أرادوا أن يسألوه، فنسوا ما جاؤا[١] لأجله. ولم يتذكروا شيئاً، فعلموا أنها كرامة من الشيخ. أو يقول: فلما ذهبوا إلى الشيخ وسألوه، أجابهم بما بهر عقولهم، واستفادوا منه ما لم يكونوا يعرفونه. مثل هذه الكرامة، لو حصلت للشيخ الدسوقي، تشرفه وتعلي قدره.

---

(١) حكي مثل هذا في كرامات الشيخ شمس الدين الحنفي: جاءه مرة قاض من المالكية، يريد امتحانه. فأعلموا الشيخ انه جاء ممتحنا. فقال الشيخ رضي الله عنه: إن استطاع يسألني، ما عدت أقعد على سجادة الفقراء.

فلما جاء القاضي يسأل، قال: ما تقول في؟ وتوقف.

فقال له الشيخ: نعم. فقال: ما تقول في؟ وتوقف، حتى قال ذلك مراراً، ولم يفتح له بشيء. فقال القاضي: كنت أريد أن أسأل عن سؤال، وقد نسيته. ثم كشف رأسه واستغفر وأخذ عليه العهد بعدم الإنكار على الفقراء، والاعتراض عليهم.

كما حصل للإمام البخاري - رضي الله عنه - فإنه لما جاء إلى بغداد، وعقد مجلساً لإملاء الحديث. اتفق عشرة من العلماء، أن يتقدموا إليه بمائة حديث، يسألونه عنها. على أن تكون مقلوبة: إسناد هذا الحديث، يجعلونه لحديث آخر، وهكذا. فلما جلس للإملاء قام أحد العشرة، فسأله عن عشرة أحاديث مقلوبة.

والبخاري يجيبه عن كل حديث منها، بقوله: لا أعرفه. فأما العلماء: فأدركوا أن البخاري إمام. وأما العامة، فظنوا أنه عجز عن الجواب. ثم قام الثاني والثالث إلى العاشر، والبخاري لا يزيد على قوله: لا أعرفه. فلما علم أنهم أتموا سؤالهم، التفت إلى الأول، فقال له: الحديث الأول، صوابه كذا. والثاني صوابه كذا. حتى أتم الأحاديث العشرة. ثم التفت إلى الثاني والثالث: حتى صحح الأحاديث المائة كلها، ورد كل حديث إلى إسناده، على الترتيب الذي ذكروه. فخضعوا له، واعترفوا بحفظه وإتقانه. هذه هي الكرامة، أما الحكاية التي افتروها على الشيخ إبراهيم الدسوقي، فهي تصوره بصورة الشخص الذي لا يعرف العلم، ويخاف من أسئلة العلماء.

وحكوا من كراماته: أن تمساحاً خطف صبياً، فأتت أمه مذعورة فأرسل نقيبه، فنادى بشاطئ البحر: معاشر التماسيح من ابتلع صبياً، فليطلع به - فطلع ومشى معه إلى الشيخ، فأمره أن يلفظ به - فلفظه حياً!!! وقال للتمساح: مت بإذن الله، فمات!(١).

هذه خرافة ظاهرة، فلو سلمنا بما قالوا: إن الشيخ كان يتكلم بالسرياني والعجمي والطليانى واليوناني والافلاوندى، ولغة الوحوش والطير، فلا نسلم أن نقيبه كان يعرف تلك اللغات. وأن التمساح احتفظ بالطفل في بطنه حياً، انتظاراً لنقيب الشيخ الذي جاء يناديه!

ونقلوا عنه أيضاً أشياء، فيها مبالغات ومجازفات. وقالوا: إنه ذكرها في كتابه الجواهر. وما نظن أن الكتاب له، وإنما كتبه بعض أتباعه، ونسبه إليه.

---

(١) حكي مثل هذه الحكاية في مناقب ذي النون المصري، على وجه معقول، أو قريب من المعقول. قال ذو النون: جاءتني امرأة. فقالت: إن ابني أخذه التمساح. فلما رأيت حرقتها على ولدها. أتيت النيل، وقلت: اللهم أظهر التمساح، فخرج إلي. فشققت عن جوفه. فأخرجت ابنها سليماً صحيحاً. فأخذته ومضت، وقالت: اجعلني في حل. فإني كنت إذا رأيتك سخرت منك، وإني تائبة إلى الله تعالى.

حكاية محمد بن هارون السنهوري مع صبي القرداتي

وحكي عن الشيخ محمد بن هارون السنهوري: أنه كان إذا خرج من صلاة الجمعة، تبعه أهل البلد، يشيعونه إلى داره، فمر بصبي القراد، وهو جالس تحت حائط، يفلي خلقته من القمل، وهو ماد رجليه. فخطر في سر الشيخ: إن هذا قليل الأدب، يمد رجليه، ومثلي يمر عليه. فسلب لوقته، وفر الناس عنه. فرجع، فلم يجد الصبي. فدار عليه في البلاد إلى أن وجده في رميلة مصر. فلما نظر القراد الكبير إليه، وهو واقف، وقد فرغوا. قال له: تعال يا سيدي الشيخ، مثلك يخطر في خاطره أن له مقاما أو قدرا؟! هذا الصبي سلبك حالك، فله أن يمد رجله بحضرتك، لكونه أقرب إلى الله منك! فقال: التوبة. فأرسله إلى سنهور، إلى الحائط الذي كان يفلي ثوبه عنده ... وقال له: نادِ السحلية التي هناك في الشق، وقل لها: أن قزمان[1] طاب خاطره عني، فردي علي حالي. فخرجت وتفخت في وجهه، فرد الله عليه حاله.

فهذه الخرافة تفيد أن صبي القراد[2] — وهو لا يصلي الجمعة، وربما لا يصلي إطلاقا — سلب الولي حاله! لكونه أقرب إلى الله منه! وعلى هذا، لا داعي للصلاة. ولا للعبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى. كما جاء في الحديث القدسي «وما تقرب إلي عبدي **بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»** الحديث. وما على الإنسان إلا أن يشتغل قرادا أو صبي قراد، فيعطيه الله الاطلاع على الضمائر، ويجعله أقرب إليه من بعض أوليائه! ثم إن الولاية هانت وصغر شأنها، بحيث عادت إلى الولي، بتفخ سحلية، إن الذين يحكون مثل هذه الحكايات السخيفة، يصغرون ما عظم الله. ويفتحون باب القول للسفهاء البطالين الذين لا يحسنون الوضوء، هم يدعون الولاية الكبرى.

حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معنى طي الزمان

وذكر الشيخ يوسف الكردي، تلميذ الشيخ إبراهيم المتبولي، وكان مقيما بالخلوة في زاوية الشيخ ببركة الحاج. قال: اشتقت إلى أهلي بحصن كيفا من بلاد الأكراد.

---

(١) هذا الاسم من أسماء النصارى، ولا نعلم مسلمة اسمه قزمان. فإن كان صانع الحكاية يعتقد أن في النصارى أولياء مقربين. فهو في ضلال مبين. أما سمع قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

(٢) بتشديد الراء هو الذي يربي القرد ويعلمه أنواعا من اللعب والحركات. ويسمى في مصر: القرداتي.

فشاورت الشيخ، وكان ذلك بعد صلاة العصر. فقال: إن شاء الله يكون. فدخلت الخلوة، أقرأ وردا للعصر.

فرأيت نفسي داخل بيتي، والناس تسلم علي، وشالوا الاعلام قدامي. فدخلت داري، فسلمت على أمي وأبي. ومكثت عندهم أخطب في الجامع، وأقرئ أطفالا، مدة تسعة شهور. فقوى اشتياقي إلى الشيخ، فشاورت والدي ووالدتي، فأذنا لي. فخرجت إلى موضع خارج البلد، فإذا بي في خلوتي ببركة الجامع. فخرجت لأسلم على إخواني، فلم يسلموا علي. فأخبرتهم بسفري، فقالوا: يوسف حصل له جنون. فعلم الشيخ بذلك، فقال: اكتم يا ولدي ما معك!

نقل هذه الحكاية الشيخ الشعراني، وشعر بعدها. فقال: حدثني بهذه القصة في حال كماله وعقله. قال: وهذه القصة تشبه مسألة الجوهري الذي غطس في البحر، فرأى نفسه ببغداد. فتزوج وجاءه بالأولاد. ثم رفع رأسه، فإذا هو عند ثيابه، بساحل النيل بمصر. فخرج في الحس، ما كان في عالم الخيال.

قلت: أتعجب ممن يصدق مثل هذه الحكاية، ويزعم أنها من طي الزمان! مع أنها محال. لا يتصور العقل حصولها أبدا.

والكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان. وطي الزمان، له معنيان ممكنان واقعان:

أحدهما: الخروج عن دائرة الفلك التي يتكون عن حركتها الليل والنهار. كما حصل للنبي ﷺ ليلة المعراج، فإنه تجاوز دائرة الفلك، وترقى حتى وصل إلى سدرة المنتهى. فطوى الزمان ومشى في العالم العلوي مسافة لو قيست بالزمان، كانت بضعة آلاف من السنين[(١)]، وهذا طي حقيقي. ومن هذا كان المعراج معجزة عظيمة، طوى الله فيها لنبيه الزمان والمكان. أما طي الزمان، فقد علمته. وأما طي المكان، فلأنه فارق العالم الأرضي، إلى العالم العلوي. ورأى فيه من آيات ربه الكبرى، ثم عاد في ليلة.

ثانيهما: طي مجازي، وهو أن يتيسر للشخص في الزمن اليسير، من العمل النافع، ما لا يتيسر لغيره إلا في زمن طويل. كالإمام الشافعي رضي الله عنه، عاش أربعا وخمسين سنة. أنشأ فيها مذهبين المذهب القديم بالعراق، والمذهب الجديد بمصر. واخترع علم

---

(١) بل بضعة الآف ألف من السنين. لأن سدرة المنتهى خارجة عن دائرة المجموعة الشمسية بما فيها من نجوم [illegible]

الأصول، وترك من الآثار العلمية، ما لم يتيسر لغيره ممن عاشوا مائة سنة. وكذلك الغزالي رضي الله عنه، عاش خمساً وخمسين سنة. وترك من المؤلفات في مختلف العلوم - خصوصاً كتاب إحياء علوم الدين - ما لم يتيسر لغيره في عدة سنين. هذا إلى ما كان يقوم به من تدريس العلوم للطلبة، مع التعبد والمجاهدة لنفسه.

أما أن يذهب الشخص إلى العراق مثلاً، ويمكث هناك سنة وتكون تلك السنة في مصر ساعة من نهار، فهذا أمر محال، تدرك استحالته بالبداهة العقلية. لأنه يلزم عليه أن تكون الساعة التي مضت بمصر، مساوية للسنة التي قضاها بالعراق والساعة كما هو معلوم جزء من الليل والنهار اللذين هما جزء من الشهر الذي هو أحد الأجزاء الاثنى عشر التي تتكون منها السنة. ومساواة الساعة للسنة، يلزم عنها مساواة الجزء للكل، وهو محال، فما أدى إليه يكون محالاً. ومن تحدث بوقوعه له أو لغيره، لا يخلو من أحد ثلاثة أشياء: إما أن يكون كاذباً يريد تعظيم شيخه أو نفسه، وإما أن يكون أحمق، لا يدري ما يقول، وإما أن يكون واسع الخيال، تخيل أمراً، فخاله حقيقة[1].

محمد تاج الدين الذاكر وأبو السعود الجارحي

وذكر في ترجمة الشيخ تاج الدين الذاكر:

إنه كان يمكث سبعة أيام بوضوء واحد. وفي آخر عمره، كان يتوضأ وضوءاً واحداً كل أحد عشر يوماً. وأراد جماعة أن يمتحنوه، فدعوه إلى ناحية الجيزة في الربيع. وصاروا يحملون له الخرفان والدجاج واللبن بالأرز وغير ذلك، وهو يأكل معهم من ذلك، ثم لا يرونه يتوضأ لا ليلاً، ولا نهاراً، مدة تسعة أيام.

وذكر في ترجمة أبي السعود الجارحي

أنه كان ينزل في سرداب تحت الأرض، أول ليلة من رمضان، فلا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام. وذلك بوضوء واحد من غير أكل. وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية.

ليس من المعقول أن يستغني الإنسان عن قضاء الحاجة يوماً، فضلاً عن أكثر. والمعروف أن أهل الجنة خصهم الله تعالى، بأنهم لا يقضون الحاجة فيها. ففي صحيح

---

(١) مر قريباً قول الشعراني: فخرج في الحس، ما كان في عالم الخيال.

مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ . قال: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يمتخطون ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون أنتم النفس» هذا مما ميزهم الله به عن أهل الدنيا . ولما أراد الله أن يبين للنصارى بشرية عيسى وأمه، بأوضح بيان، وأنصع برهان . قال: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة: ٧٥]، أي ومن يأكل الطعام، يضطر أن يخرج فضلته من الجسم. فهو بشر، وليس بإله .

ثم ما كان يفعله أبو السعود الجارحي في رمضان، مخالف للسنة النبوية. وهو دليل على أنه لم يبلغ درجة القطبية، لأن القطب يكون عبادته وجميع أحواله، متقيداً باتباع النبي ﷺ ، لأن عبادته أكمل العبادات .

ومن الكرامات العجيبة: معزة السيدة نفيسة!

وقصتها طويلة، حكاها الجبرتي في تاريخه، قرأتها منذ مدة. والذي أتذكره منها: أن الناس فتنوا بها، فكانوا يبعثون إلى الشيخ عبد اللطيف مؤذن مسجد السيدة نفيسة — وهو مخترع قصة المعزة — يطلبونها منه للتبرك بها . وكان يأخذها إليهم. فيتمسحون بها. ثم يردونها إليه، مع هدايا ثمينة من نقود وثياب وغير ذلك. حتى وصل الخبر إلى الأمير كتخدا. فبعث إليه، يطلب المعزة للتبرك بها . فذهب إليه الشيخ عبد اللطيف راكبا على بغلة، والمعزة بين يديه. حتى وصل إلى بيت الأمير. فقدمها إليه. فأظهر الأمير أنه يتبرك بها. ثم أمر بإدخالها إلى الحريم للتبرك أيضا. وأشار إلى طباخه بذبحها وطبخها. فلما حضر الغداء، صار الأمير يقدم اللحم إلى الشيخ عبد اللطيف. ويقول له: كل منه، فإنه لحم لذيذ. والشيخ يقول: نعم يا مولانا الأمير ما أكلت لحما ألذ منه. وانتهى الغداء. وأراد الشيخ أن ينصرف، وطلب المعزة. منتظرا ما يأتي معها من هدايا فخمة. فقال له الأمير: تغديت بها. فبهت الشيخ، فوبخه الأمير على استغلاله للمعزة، وأرجعه راكبا على بغلته مقلوبا رأسه إلى جهة دبرها. وشنع به. وذكر في مناقب الشيخ محمد بن أحمد الفرغل: أن تمساحا خطف بنت مخيمر النقيب، فجاء وهو يبكي إلى الشيخ. فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه، وناد بأعلى صوتك: يا تمساح تعال كلم الفرغل. فخرج التمساح من البحر، وطلع كالمركب. وهو ماش. والخلق بين

يديه، جارية يسيناً وشمالاً، إلى أن وقف على باب الدار. فأمر الشيخ رضي الله عنه الحداد بقلع جميع أسنانه. وأمره بلفظ البنت من بطنه، فلفظها حية مدهوشة. وأخذ على التمساح العهد ألا يعود يخطف أحداً من بلده ما دام يعيش. ورجع التمساح، ودموعه تسيل حتى نزل البحر.

تقدم مثل هذه الحكاية في كرامات الشيخ إبراهيم الدسوقي، وهي مكذوبة كسابقتها. والشيخ الفرغل، كان مجذوباً كما في ترجمة الشيخ الحنفي من طبقات الشعراني.

طيران النعش بالميت كذبه الشعراني وأنكره

ومن الكرامات الغريبة: طيران النعش بالميت، وهذه كرامة لم أجدها في كتب تراجم الأولياء، المخطوط منها والمطبوع. ولم أسمع بها حتى حضرت إلى مصر، فوجدتها شائعة بين أهل حاضرتها وباديتها. وتحيرت في أمرها، ولم اختص بها أولياء مصر دون سائر البلاد الإسلامية؟ ثم زالت حيرتي، حين وقفت على رسالة مخطوطة للشيخ الشعراني، ألفها في هذا الموضوع. وقرأتها فإذا هو يذكر فيها أن العامة في وقته ابتدعوا هذه البدعة، وادعوا أنهم شاهدوا النعش يطير ببعض الموتى. وكذبهم في هذه الدعوى، وذكر أنه لا أصل لها في الدين. وليس عليها دليل. وغاية ما في الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق» رواه البخاري. لكن هذا لا يقتضي طيران النعش بالميت. فعرفت حينئذ أن حكاية طيران النعش، كذبة ابتدعت في عهد الشعراني، وهو القرن العاشر الهجري. وتتبعتها في عدة جنازات شهدتها بالقاهرة وبالأرياف فوجدتها كذبة كما قال الشعراني. وأن الحاملين للنعش، يعملون حركات بهلوانية، توهم الناس أن النعش يطير وأن الحاملين يتشبثون به حتى لا يفلت من أيديهم[1]. وقد يكذب بعض الناس حسبة، ليرفع من شأن الميت.

---

(١) وكذبة أخرى شاعت بمصر، وهي دعوى أن النعش يثقل على حامليه بحيث لا يستطيعون حمله، لأن الميت لا يريد نقله من ذلك المكان لسبب من الأسباب. ذكر لي جماعة كنت عندهم بمدينة رشيد: أن امرأة توفيت في أثناء الليلة، ولم تكن صالحة. فادعى أهلها أنهم لما أن جهزوها ووضعوها في النعش، حاولوا حملها فلم يستطيعوا. وسرت الإشاعة بين أهل البلد بسرعة. وعلم مأمور المركز فبعث =

حضرت جنازة شيخنا عالم الديار المصرية وشيخ شيوخها الشيخ محمد بخيت رحمه الله، وبعد الصلاة عليه بالجامع الأزهر، خرج النعش محمولاً على الأعناق. فقال بعض الطلبة: انظروا إلى النعش يطير! فنظرت فرأيت النعش يهتز بحركة الحاملين له مع شدة الزحام. فقلت له: إنه لا يطير، ولكنه الزحام أحدث ما ترى. فقال: إنه يطير، فأحددت بصري، فلم أر طيرانا. فراجعته، فقال: صدقني أنه يطير. فقلت: سبحان الله ترى ما لا نرى!!

حكاية عيسى بن نجم

وقال الشعراني في الطبقات: سمعت سيدى عليا المرصفي رضي الله عنه يقول: مكث سيدى عيسى بن نجم رضي الله عنه بوضوء واحد، سبع عشرة سنة. فقلت: يا سيدى كيف ذلك؟ فقال: توضأ يوما قبل أذان العصر، واضطجع على سريره. وقال للنقيب: لا تمكن أحدا يوقظني حتى أستيقظ بنفسي. فما تجرأ أحد يوقظه. فانتظروه هذه المدة كلها فاستيقظ وعيناه كالدم الأحمر. فصلى بذلك الوضوء الذى كان قبل اضطجاعه. ولم يجدد وضوء. وكان في وسطه منطقة، فلما قام وحلها، تناثر منها الدود. قال الشعراني: وهذه الحالة من أحوال الشهود، فيمضى على صاحبها عمره كله كأنه لمحة بارق، كما يعرفه من سلك أحوال القوم.

قلت: وقد يحصل للشخص غيبوبة، عدة سنوات. لإصابته بمرض النوم، أو إغماء، أو نحو ذلك. لكن تجب عليه الطهارة إذا أفاق. ويظهر أن الشيخ عيسى بن نجم لم يكن عالما، فصلى بوضوئه السابق على غيبوبته، وهي صلاة باطلة. ومثل هذا لا يعد كرامة، بل هو نتيجة جهل بحكم شرعي.

حكاية حصان دخل قبره ولم يخرج منه

وذكر الشعراني في ترجمة الشيخ عيسى بن نجم أيضا، نقلا عن الشيخ محمد البرلسي: أن شخصا نذر: أن ولدت فرسي هذه حصانا، فهو لسيدى عيسى بن نجم.

---

* أربعة عساكر، حملوا النعش وأوصلوه إلى المقابر في هدوء. وكنت أعرف شخصا شاذا اسمه الشيخ عبد الكريم، كان صالحا ذاكرا يقوم الليل، على وجهه نورانية ظاهرة. فلما توفي رحمه الله، زعم مشيعوه أنهم حين وصلوا به إلى باب زويلة ... بوابة المتولى – وقف النعش كأنه مشدود إلى الأرض بمسامير، ولم يتحرك حتى أقاموا حضرة ذكر، كما كانوا يقيمونها عنده في الزاوية الشاذلية بدرب الحجر!

فولدت له حصانا. فلما كبر أراد أن يبيعه. وقال: أيش يعمل سيدي عيسى به؟ فبينما هو مار به ذات يوم، وقد صار تجاه سيدي عيسى، رمح من صاحبه حتى دخل الزاوية. فرمح صاحبه من ورائه. فدخل الحصان قبر الشيخ ولم يخرج.

قلت: يكثر من الناس أن ينذروا حصانا للشيخ فلان، أو عجلا للشيخ فلان. ولا يكاد يخلو بيت في الفلاحين بالوجه البحري في مصر، من أن ينذر صاحبه أو صاحبته عجلا للسيد البدوي أو خروفا أو ديكا أو نحو ذلك. وعجل السيد، مثل معروف عندهم. وهو أشبه بالسائبة التي كانت في الجاهلية.

والنذر عبادة لله تعالى، كالصلاة وغيرها من العبادات.

وهو نوعان:

١ ـ نذر لجاج، وهو ما يقع بشرط. نحو: إن شفاني الله، أو قضى مسئلتي، فلله علي أن أتصدق بكذا دينارا، أو أذبح عجلا وأطعمه للفقراء. وفي هذا يقول النبي ﷺ «إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله تعالى قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج[١] ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج»[٢] رواه مسلم في صحيحه.

٢ ـ ونذر بر، وهو الذي لا يكون بشرط. نحو لله علي إطعام بعض الفقراء، أو لله علي صوم يوم أو أكثر، أو نحو ذلك.

وقد مدح الله تعالى الوفاء به، في قوله سبحانه ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، والنوع الأول يكره ابتداء، لأنه يفيد معاملة العبد لله بالشرط. لكن إذا وقع، وجب الوفاء به، كما يجب الوفاء بالنوع الثاني، ومن هنا تعلم أن النذر لنبي أو لولي، لا يجوز، كما لا تجوز الصلاة له أو الصيام. ولما كثر من العوام النذر للأولياء، وفي الغالب يكون الولي المنذور له ميتا، والميت لا يملك. أفتى بعض العلماء المتأخرين بأن معنى قول الشخص: نذرت هذا العجل أو الحصان لفلان الولي: أنه نذر لله، وثوابه لروح ذلك الولي صدقة عليه. وحيث كان الولي ميتا فإنه يعطى لأولاده. وإن لم يكن له أولاد، أعطي لأتباعه والمقيمين بزاويته. وهذا تحايل لتصحيح النذر الواقع من العوام الجهلة بأحكام الشرع.

(١، ٢) بضم الياء وسكون الخاء وكسر الراء.

وكثير من الأولياء لا يعرفون الأحكام الشرعية، يعتبرون هذه النذور حقا لهم مكتسبا، وإذ وقع للناذر شيء يؤذيه، اعتبروه كرامة لهم، حيث لم يف بما نذره.
والعجب من الشيخ الشعراني – وهو فقيه شافعي – كيف يوافق العامة على آرائهم المخالفة للشرع! ويحكي أن الحصان المنذور، رمح من صاحبه، ودخل قبر الشيخ المنذور هو له!!

وكيف عرف الحصان أنه منذور للشيخ أو ماذا يفعل الشيخ بالحصان في قبره؟ تالله إن هذه الحكاية لفرية، ما فيها مرية.

الشيخ الشربيني رد ملك الموت حين حضر لقبض روح ولده

وقال الشيخ الشعراني أيضا في ترجمة الشيخ محمد الشربيني: ولما ضعف ولده أحمد، وأشرف على الموت. وحضره عزرائيل لقبض روحه. قال له الشيخ: ارجع إلى ربك فراجعه، فإن الأمر نسخ. فرجع عزرائيل، وشفي أحمد من تلك الضعفة، وعاش بعدها ثلاثين عاما.

معنى هذه الحكاية ومغزاها: أن الشيخ الشربيني، علم ما لم يعلمه ملك الموت الذي أرسل لقبض روح ولده، وأن ولده أخر أجله ثلاثين عاما. وهذه دعوى باطلة يشقيها. فلا الشربيني علم ما لم يعلمه ملك الموت، ولا ولده تأخر أجله. ثم يقال: كيف رأى الشيخ الشربيني ملك الموت؟ هل ظهر له عيانا كما ظهر للنبي؟ حين استأذن عليه لقبض روحه خصوصية له ﷺ؟ أم ماذا؟!

والعجيب أن الشعراني. قال بعد هذه الخرافة ببضعة أسطر: ما نصه: وكان الشيخ محمد بن عنان وغيره ينكرون عليه – أي الشيخ الشربيني – لعدم صلاته مع الجماعة. ويقولون: نحن ما نعرف طريقا تقرب إلى الله تعالى، إلا ما درج عليه الصحابة والتابعون. فالشيخ الذي يعترض عليه شيوخ عصره، لعدم صلاته مع الجماعة لا يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكون مجذوبا، وإما أن يكون عاقلا، لكنه مقصر في واجبات الدين. وكلاهما بعيد من مناصب القربة، لم يصل بعد إلى مقام الكرامة والاتحاف.

حكاية حسن العراقي

وذكر الشيخ الشعراني أيضا عن شيخه الشيخ حسن العراقي: أنه قال له: دخلت جامع بني أمية، فوجدت شخصا يتكلم على الكرسي في شأن المهدي عليه السلام. فاشتقت إلى لقائه، فصرت لا أسجد سجدة. إلا سألت الله تعالى أن يجمعني عليه. فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب، أصلي صلاة السنة. إذا بشخص جلس خلفي. وحسس على كتفي. وقال لي: قد استجاب الله دعاءك يا ولدي. مالك؟ أنا المهدي! فقلت تذهب معي إلى الدار. فقال: نعم، فذهب معي. فقال: أخل لي مكانا أنفرد فيه. فأخليت له مكانا. فأقام عندي سبعة أيام بلياليها. ولقنني الذكر. وقال: أعلمك وردي. تدوم عليه إن شاء الله تعالى. تصوم يوما. وتفطر يوما. وتصلي كل ليلة خمسمائة ركعة. وكنت شابا أمرد، حسن الصورة. فكان يقول: لا تجلس قط إلا ورائي، فكنت أفعل. وكانت عمامته كعمامة العجم، وعليه جبة من وبر الجمال. فلما انقضت السبعة أيام خرج فودعته. وقال لي: يا حسن ما وقع لي قط مع أحد ما وقع معك. فدم على وردك حتى تعجز، فإنك ستعمر طويلا. ثم قال الشعراني بعد هذه الحكاية: فعمري الآن مائة وسبع وعشرون سنة. وقبل أن نتكلم على هذه الحكاية نبين مسألتين:

١ — المهدي المنتظر، فيه خلاف. معظم الأشعرية يعتقدون حقيقته، حتى أنهم ذكروه في قسم السمعيات من علم العقائد. لأن الأحاديث بظهوره متواترة. والمعتزلة ينكرونه، ويعتبرون القول به نزعة شيعية.

٢ — اختلف العلماء في الأرواح. هل هي مخلوقة قبل الأجساد؟ ذهب جماعة إلى أنها خلقت قبل الأجساد. ونفى آخرون ذلك وقالوا: إنما يخلق الروح بعد خلق الجسد، حيث ينفخ فيه. وعلى هذا الرأي درج ابن حزم وغيره. وليس غرضنا الاستدلال للقولين، والموازنة بينهما. ولكن غرضنا التمهيد لنقد الحكاية التي يدعي فيها الشيخ حسن العراقي أنه رأى المهدي المنتظر، في أوائل القرن العاشر الهجري. مع أن الأحاديث تخبر بظهوره قرب الساعة. حيث يظهر الدجال ويقاتله، وينزل عيسى عليه السلام. فيقتل الدجال، وينتصر الإسلام. وقد بدت الآن بوادر، تنذر بقرب ظهور الدجال. فإن كان الشيخ حسن،

صادقا فيما يقول، فالمهدي إما أن يكون قد مات، ويحييه الله ثانيا، ليقاتل الدجال.

كما أخبرت الأحاديث الصادقة. وإما أن يكون لا يزال حيا، قد بلغ من الكبر عتيا. وحينئذ لم تبق له قدرة على القتال والجهاد. وكلا الاحتمالين بعيد، بل باطل.

قد يقال: إنه اجتمع بروح المهدي، دون جسده الذي لم يخلق بعد. وهذا هو مراده، فقد قال الشعراني في اليواقيت والجواهر: المهدي ولد الحسن العسكري بن الحسين[١]. ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف. وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام. هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلي، بمصر المحروسة؛ ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص. اهـ.

ونقول: بينا آنفا وجود الخلاف في الأرواح هل هي مخلوقة قبل الأجساد؟ فإذا نحن أخذنا بهذا القول هنا، فقد رجحناه على مخالفه لا لدليل، ولكن لنصدق الشيخ حسنا فيما ادعى. وليس هذا بالطريق العلمي في ترجيح قول على غيره. وقد لاحظت أن بعض المشايخ يستغل ثقة الناس به، واعتقادهم فيه. فيرمي بطامة، تحمل معتقديه أن يلتمسوا لها تأويلات بعيدة من غير أن يخطر ببالهم إساءة الظن به، وهذا خطأ كبير. فالواجب أن ننظر في الكلام الذي صح عن صاحبه، وليًّا كان أو عالما. فإن كان يحتمل تأويلا قريبا معقولا أولناه، وإن كان يحتمل تأويلا بعيدا غير معقول، أو لا يحتمل تأويلا، لكونه صريحا، حكمنا على صاحبه بما يقتضيه كلامه. فإن كان من قبيل الرأي خطأناه، وإن كان من قبيل الخبر كذبناه. ولهذا صرح أهل الحديث رضي الله عنهم بتكذيب رجال صالحين، يستسقى بهم الغيث. لأنهم أمسكوا عليهم كذبا في الرواية. وقال الإمام مالك: لقد أدركت في المدينة رجالا لو ائتمن أحدهم على بيت المال، لكان عليه أمينا. ولم أرو عنهم الحديث، لأنهم ليسوا أهلا للرواية. إذا تقرر هذا، فخبر الشيخ حسن العراقي في مقابلة المهدي، غير صادق. والحمل عليه فيه لا محالة. ونحن لا يمكننا أن نصدق أن المهدي كان رجلا موجودا في القرن العاشر الهجري، ثم يظهر بعد ذلك بألف سنة أو أقل أو أكثر، إلا إذا كنا على مذهب الشيعة الذين يقولون: إنه موجود، غائب في

---

(١) الآثار تفيد بالأسانيد الكاملة صريحة أن المهدي من ولد الحسن عليه السلام. والحكمة في ذلك: أنه لما تنازل عن الخلافة، وهي حق له، حقنا لدماء المسلمين، عوضه الله بأن جعل الخليفة الحق الذي يظهر في آخر الزمان من ولده؛ ويزيد الصوفية على ذلك: أن الله جعله أول الأقطاب في هذه الأمة.

السرداب أو في جبل رضوى[1]. وينتظرون ظهوره. لكن الشيخ حسن ليس بشيعي. وروح المهدي لا يمكن أن يظهر لأحد – على قول من يقول بتقدم خلق الأرواح – لأن الروح إنما يتشكل بعد وجود جسمه الطبيعي. فيظهر في أجسام مثالية، تشبه جسمه. لكن قبل وجود الجسم، لا تتشكل ولا تطور. ثم ما ذكره الشيخ حسن العراقي من تاريخ مولد المهدي، ناقضه بتاريخ آخر أبداه. فقد نقل عنه الشعراني أيضا في الأنوار القدسية في آداب العبودية: أنه سأل الإمام المهدي عن سنة مولده؟ فقال: يولد أواخر المائتين من الهجرة. قال الشعراني: فسألت عن ذلك بعض الكمل من شيوخنا[2] فأجاب بالتاريخ المذكور سواء بسواء فاعلم ذلك اهـ. وهو تناقض واضح، وقد وافقه عليه الشيخ علي الخواص إذ هو المراد ببعض الكمال في كلام الشعراني. والعجيب في هذا الخبر أن الإمام المهدي هو نفسه عينه أخبر الشيخ حسنا بسنة مولده!!

حكاية اجتماع سهل التستري بشخص من أصحاب عيسى بن مريم

وحكى الشعراني أيضا في ترجمة سهل بن عبد الله التستري. فقال وكان رضي الله

---

(١) الشيعة الإمامية يقولون عن محمد بن الحسن العسكري – نسبة إلى العسكر وهي سر من رأى – آخر الأئمة الاثني عشر: إنه المهدي المنتظر. قال ابن الوردي في تاريخه: ولد محمد بن الحسن الخالص، سنة خمس وخمسين ومائتين. وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى، وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها.

وكان عمره تسع سنوات، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين على خلاف فيه اهـ. وفي الفصول المهمة: قيل: إنه غاب في السرداب سنة ست وستين ومائتين. وقال ابن بطوطة في رحلته: ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهي مستطيلة مع الفرات، وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية. وبها مسجد على بابه ستر حرير. يقولون: إن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه، وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر. فهم كل يوم يلبس له الحرب مائة منهم. ويأتون باب المسجد، ومعهم دابة مسرجة ملجمة، ومعهم الطبول والبوقات، ويقولون: اخرج يا صاحب الزمان، فقد كثر الظلم والفساد. وهذا أوان خروجك، ليفرق الله بك بين الحق والباطل، ويبقون إلى الليل، ثم يعودون. كذلك دأبهم أبداً اهـ. وللشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي – ويقول: الكنشي – كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» قال فيه: من الأدلة على كون المهدي حيا باقيا بعد غيبته إلى الآن: أنه لا امتناع في بقائه ببقاء عيسى بن مريم والخضر وإلياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله تعالى اهـ. ثم استدل لذلك بما يراجع هنالك. أما الشيعة الكيسانية، فيرون أن المهدي المنتظر هو محمد ابن الحنفية بن علي عليه السلام وأنه حي مقيم بجبل رضوى قرب المدينة، وهو بين أسدين يحفظانه، وعنده عينان تجريان بماء وعسل وأنه سوف يعود بعد الغيبة، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما، وكان السيد الحميري على هذا المذهب.

(٢) يعني الشيخ عليا الخواص.

عنه يقول: اجتمعت بشخص من أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام، في ديار قوم عاد. فسلمت عليه، فرد على السلام. فرأيت عليه جبة من صوف، فيها طراوة. فقال لى: إنها على من أيام المسيح. فتعجبت من ذلك! فقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب، إنما يخلقها رائحة الذنوب — أي كرائحة الكذب — ومطاعم السحت. فقلت له: فكم لهذه الجبة عليك؟ قال: لها على سبعمائة سنة! فقلت له: هل اجتمعت بنبينا محمد ﷺ؟ فقال: نعم وآمنت به، حين آمن به الجن الذين أوحى إليه في حقهم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، قلت: هذه القصة شبيهة بقصة زريب بن برثملا الذى ظهر لجيش سعد بن أبى وقاص بفارس، وزعم أنه وصى عيسى عليه السلام، وأنه أمره بانتظاره في ذلك المكان، حتى ينزل في آخر الزمان. وهى قصة طويلة. رواها الحاكم، وصرح بوضعها ابن تيمية وغيره. وذلك الشخص الذى ادعى أنه من أصحاب المسيح كذاب، كذب على سهل، وهذا تقبل كذبه بسلامة نية، وهو خطأ. ومن الأمثال التى رويت حديثاً وليس بحديث، قولهم: الثقة بكل أحد عجز. وما كان ينبغى لسهل — وهو صوفى نجله ونحترمه — أن يصدق كاذباً من غير أن يعرف عنه مايدل على صدقه، بل حكايته، تنادى بكذبه. والعجيب أن الشعرانى علق عليها بقوله: ومن هنا كان الخضر عليه السلام، لا تبلى له ثياب. لأنه لا يعصى الله تعالى ولا يأكل حراما اهـ. ولو كان عنده وعى أهل الحديث وبعد نظرهم، لعرف أنها مكذوبة[(١)].

وقال الشعرانى أيضا: وقد كان سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه، يقول: أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم؟ وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يمينى، ومن كان عن شمالى، ولم أزل من ذلك اليوم أربى تلامذتى. وهم فى الأصلاب. لم يحجبوا عنى إلى وقتى هذا. نقله ابن العربى رضى الله عنه فى الفتوحات المكية.

قلت: نقل هذا الكلام، تأييدا لما ذكره من استطالة الأرواح، وسعة إدراكها. وهذا الكلام إما أن يكون غير صحيح عن سهل، وإما أن يكون صدر عنه في حالة شطح. أما

---

(١) وحكى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربى — وهو أستاذ إبراهيم الخواص — قال: اجتمعت بشخص من أصحاب أبينا إبراهيم عليه السلام، وقال: إنه ساكن فى الهواء منذ رمى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمنجنيق. فقلت له: ما حملك في الهواء. وأنت من بنى آدم؟ فقال: توكلى على الله عز وجل. فقلت له: وما التوكل؟ قال: النظر إلى الله تعالى دائما بلا عين تطرف. والتذكر له بلسان لا يتحرك. والجولان فى مصنوعاته بلا روح تغفل. قلت: هذا — إن صح — اجتماع روحى لا جسمى.

أن يكون قاله في وعيه، وحال تمكنه في مقامه، فلا. لأنه كلام غير مقبول، ولا معقول. ذلك أن روح النبي ﷺ أكمل الأرواح، وأعلاها علما وإدراكا. ومع ذلك يقول الله تعالى له: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢]، ونحن لا نشك أن روح النبي ﷺ، كان يوم ألست بربكم، يعرف الإيمان والكتاب. لكنه حين وجد جسمه الشريف، نشأ معه الروح نشأة جديدة، قطعت الصلة بينه وبين حاله قبل وجود الجسم. وأصبح لا يعرف شيئا، إلا ما عرفه الله تعالى إياه بالوحي. وإذا كان هذا حال الروح مع جسم طاهر معصوم من المعاصي والمخالفات، فكيف يكون حاله مع جسم مقطع بالذنوب؟ لابد أن يكون حجابه أشد كثافة، وأكثر ظلاما. ولما قال الكفار حين رأوا العذاب يوم القيامة ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧]، قال الله تعالى يكذبهم ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وما عادوا لما نهوا عنه من الكفر، إلا لأنهم نشأوا نشأة جديدة، أنستهم ما شاهدوه من العذاب.

إذن فليس من المعقول: أن يعرف سهل أو غيره، تلامذته من ذلك اليوم، ولا يحجبون عنه.

كلام للشيخ إبراهيم الدسوقي غير مقبول

ومما لا يعقل ولا يقبل: قول الشيخ إبراهيم الدسوقي، في كتاب الجواهر المنسوب له: أشهدني الله تعالى ما في العلا، وأنا ابن ست سنين. ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طلسم السماء، وأنا ابن تسع سنين. ورأيت في السبع المثاني حرفا حار فيه الجن والإنس، ففهمته وحمدت الله على معرفته. وحركت ما سكن، وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى، وأنا ابن أربع عشرة سنة. قلت: إن لم يكن هذا الكلام صدر من صاحبه، في حالة شطح، قبل تمكنه، فلا وجه له. ولا يقبل بحال من الأحوال. وإذا كان النبي ﷺ: لم يعلمه الله ما في العلا، إلا قبيل وفاته. كما في حديث اختصام الملإ الأعلى الذي رواه ابن عباس، وصححه البخاري. يقول فيه النبي ﷺ.

«رأيت ربي في أحسن صورة... فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب وسعديك. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يارب. فوضع يده على كتفي حتى وجدت بردها في صدري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، وفي رواية: فتجلى لي كل شيء وعرفت» الحديث. فكيف يقول الشيخ إبراهيم، أو أبو العينين: إن الله أشهده ما

في العلا، وهو ابن ست سنين؟! وهل يعقل أن تكون بدايته هي نهاية النبي ﷺ ؟! ثم إذا كان نال ما نال من العلوم والأسرار، وهو ابن أربع عشرة سنة، فكيف خاف من القضاة الذين أتوا ليمتحنوه باسئلتهم، حيث بعث إليهم نقيبه، فدفعهم دفعة[١] أوصلتهم خلف جبل قاف؟! يظهر أنه لما كبر نسي تلك العلوم والأسرار[٢]! ولهذا لم نجد له من الآثار العلمية ما يدل على صحة تلك الدعوى.

اما قوله: أنا موسى عليه السلام في مناجاته. أنا علي رضي الله عنه في حملاته، أنا كل ولي في الأرض، خلعته بيدي. ألبس منهم من شئت. أنا في السماء شاهدت ربي. وعلى الكرسي خاطبته. أنا بيدي أبواب النار غلقتها. وبيدي جنة الفردوس فتحتها. من زارني أسكنته جنة الفردوس. فهذا ونحوه من الشطحات قرأناه لكثير من المتصوفين. ومما يدل على شطحية هذا الكلام وسطحيته: أن الأحاديث الواردة في الزيارة النبوية تقول: «من زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة» والشيخ إبراهيم يقول: من زارني أسكنته جنة الفردوس.!! مدد يا أبا العينين! ومهما يكن من أمر، فلا يعنينا أن يكون الشيخ إبراهيم هو موسى أو علياً أو يلبس الخلع لمن شاء من الأولياء. لكن يعنينا أن تقرأ له كلاماً حل به آية مشكلة، أو حديثاً عسر فهمه على غيره، أو حكمة مثل حكم ابن عطاء الله. وذلك عزيز وجوده في آثار أبي العينين الدسوقي رضي الله عنه. وذكر الشعراني أيضاً عن شيخه الشيخ نور الدين المرصفي: أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة.

قلت: هذا غير معقول، ولا مقبول، بل هو من قبيل طي الزمان الذي بينا استحالته فيما مر. فلو فرضنا أنه قرأ القرآن هذرمة، لما استطاع أن يقرأ ثلاث مائة ختمة في اليوم والليلة.

نعم قد يبارك الله في وقت الولي فيتيسر له قراءة ختمة في زمن أقل من غيره. لكن لا تصل البركة إلى حد الاستحالة[٣].

---

(١) كنا نسمع حكاية مضمونها أن رجلا قال لآخر: لأضربنك برجلي ضربة توصلك إلى مكة. فأجابه الآخر: لعل الله يرزقني حجة بضربتك. ويظهر أن الرجل الضارب هو نقيب الشيخ إبراهيم الدسوقي.

(٢) مع أنه لم يعمر طويلا، بل توفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة.

(٣) أعجب من ذلك كله ما حكاه الإمام أبو بكر بن عياش عن نفسه حيث قال: ختمت ثمانية وعشرين ألف ختمة، وأود لو كانت سبباً لتصفح عن زلة واحدة، وقعت فيها. وقد مات عن ثلاث وتسعين سنة. فمن المعقول أن يقرأ هذا العدد من الختمات في عمره الطويل المبارك، رضي الله عنه.

كرامة سخيفة لشخص الشيخ عبيد

وقال الشعراني أيضا: أخبرني بعض الثقات: أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب، فوحلت فلم يستطع أحد أن يزحزحها. فقال الشيخ عبيد اربطوها في بيض بحبل، وأنا أنزل أسحبها. ففعلوا، فسحبها ببيضة حتى تخلصت من الوحل إلى البحر.

ذكر هذه الحكاية في ترجمة أبي علي المعروف بأبي العلا[1]. وهي حكاية مكذوبة، وإن قال الشعراني: حدثه بها بعض الثقات. فإن هذا تعديل على الإبهام، وهو غير مقبول. وبعض الثقات الذي حدثه، هو الذي صنع هذه الحكاية. ولو فرضنا صحتها، فما كان ينبغي التحدث بها، لمنافاتها الذوق والأدب.

كرامة سخيفة لشخص يسمى الشيخ علي وحيش

ونظيرها - مع شدة فحشها - ما حكاه في ترجمة الشيخ علي وحيش المجذوب: كان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة، ويقول له: أمسك رأسها حتى أفعل فيها. فإن أبى شيخ البلد، تسمر في الأرض، لا يستطيع أن يمشي خطوة. وإن سمح، حصل له خجل عظيم، والناس يمرون عليه. فلا معنى لذكر هذه الحكاية ولا لذكر صاحبها، بعد الاعتراف بأنه مجذوب. لأن الغرض من ترجمة الولي، وذكر بعض كراماته، الاعتبار بما قدم من أعمال صالحة والاقتداء به. والمجذوب ليس أهلا للقدوة. بل نقل الشعراني عن شيخه الشيخ علي البرلسي الخواص: أنه كان يقول: إن السوقة وأهل الصنائع والحرف، أعظم درجة عند الله، وأنفع من المجاذيب. لقيامهم في الأسباب. وكان أيضا يقول: المجاذيب والأطفال في الحالة سواء، إلا أن الأطفال يتميزون عن المجاذيب بسربالهم في الجنة. كما ورد: أنهم دعاميص الجنة أي غواصون فيها. وإن ذكر مجذوب على سبيل الاسترواح، والاعتبار بنعمة العقل، فلا يجوز ذكر ما كان يفعله من أعمال قبيحة، مثل إتيان الحمارة على قارعة الطريق.

الشيخ علي أبي خودة

وذكر في ترجمة الشيخ علي أبي خودة: أنه كان يهوى العبيد السود والحبش، وأنه كان إذا رأى امرأة أو أمرد، راوده عن نفسه وحسس على مقعدته. سواء كان ابن أميرا أو

---

(١) يعرف في مصر بالسلطان أبي العلا. وعلى ضريحه جامع تقام فيه الجمعة بجهة بولاق. وكان مجذوبا صاحب أحوال، ولا أدري من أين أتى له لقب السلطان؟

وزير. ولو كان بحضرة والده أو غيره. ولا يلتفت إلى الناس.

قلت: هل هذه منقبة تستحق أن تسجل مع مناقب الأولياء والشعراني مهد لذكر هذه القبائح بأن الشيخ كان ملامتياً، يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصداً، فإذا أنكر عليه أحد أعطبه ويظهر أن الشيخ كان حاقداً على الناس، فيفعل ما يدعوهم إلى الإنكار عليه، ليشفي حقده بإعطابهم، إن كان يقدر عليه والذي تعرفه عن الملامتي: أنه يفعل ما يلام عليه، من غير مباشرة لمعصية. كأن يقف بباب خمارة، فيتوهم من يراه أنه كان داخلها، أو هو يريد أن يدخلها. أو يقف بباب المسجد والناس يصلون جماعة. فيلام على ترك الجماعة. مع أنه يكون قد صلى تلك الصلاة في مسجد آخر، أو مع أهله في بيته جماعة. وهو نوع من السلوك، أخذ به بعض الصوفية ليعلو مقام المريد، ويكثر ثوابه، بإنكار الناس عليه. ومعظم الصوفية لا يرتضونه، ولا يأخذون به، لسببين:

١ - أن الشرع يحض على اجتناب مواضع التهم، ويجعلها من خوارم المروءة المسقطة للعدالة. وعمر رضي الله عنه كان يقول: من وقف مواقف التهم، فلا يلومن من أساء به الظن.

٢ - أنه لا يجوز للشخص أن يفعل شيئاً يحمل الناس على اغتيابهم له، ليثاب بذلك الاغتياب. ولو فعل ذلك، واغتابوه. كان آثماً. لأنه أوقعهم في إثم الغيبة.

ومن هنا لا تجد في الشاذلية والقادرية ملامتيا، ولا صاحب أحوال. لأن السلوك في هذين الطريقين، مبني على أساس شرعي مستقيم.

مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلامه على تلقين الذكر

ونقل الشعراني أيضاً عن شيخه أبي الفضل الأحمدي، في كلامه على شروط تلقين الذكر: أنه قال: فأما تلقين الذكر، فشرطه عندي: أن يعطيه الله تعالى من القوة والتمكين، وكمال الحال ما يمنح المريد، عند قوله: قل: لا إله إلا الله، جميع علوم الشرائع المنزلة. إذ هي كلها أحكام لا إله إلا الله. فلا يحتاج بعد ذلك المجلس، إلى تعليم شيء من الشرائع. كما حصل لعلي رضي الله عنه. حتى كان يقول: عندي من العلم الذي أسره إلى رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل. فيقول له ابن عباس: كيف؟ فيقول: إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. وقال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤)﴾ [الصافات: ١٦٤]، فلا يدري ما وقع لرسول الله ﷺ بعد ذلك.

قلت: هذا الكلام ليس له إسناد عن علي عليه السلام، ولا يصح عنه. والآية التي ذكرها لم يقلها جبريل عليه السلام ليلة الإسراء، وإنما قالتها الملائكة، ردا على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. اقرأ قبل الآية المذكورة: قول الله تعالى ردا عليهم ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٩ ـ ١٥٢]، إلى آخر الآيات وفي آخرها يقول الملائكة ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٤]، أي نحن عبيد مسخرون، لكل واحد منا مقام معلوم لا يتعداه، ولسنا ببنات الله تعالى ربنا عن ذلك. ولا علاقة للآية بليلة الإسراء، كما يفهمه كثير من الناس غلطا. لكن لا يصح نسبة الغلط إلى علي عليه السلام فإنه أعلى من أن يقع في مثل هذا الغلط البين، ثم هذا شرط [illegible] في التلقين أمر عسير، لا يتحقق فيه نفسه، ولا في كثير من الأولياء، فضلا عمن دونهم. ويمكن أن يكون قصد به سد الباب على مدعي المشيخة في عصره، كما لمح لذلك في أول كلامه[1].

---

(١) من الغلو الذي سهونا عن التنبيه عليه في المقدمة: ما شاع عند كثير من الناس: أنهم يبعثون خطابات في البريد إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه، يطلبون منه قضاء حوائج وتوسلات وغير ذلك. ويسلمها ساعي البريد إلى خادم المسجد، فيلقونها في الضريح. وقد زرت قبر الإمام الشافعي مرات، فرأيت خطابات منثورة على ضريحه، ورأيت زوارا يلقون خطابات على الضريح، فيها مطالب لهم. وكل ذلك غلو منشؤه الجهل بقواعد الدين الذي ينهى عن ذلك ولا يقره.

الباب الثالث

ذكر نماذج من كرامات معقولة

كرامة الحسن بن علي عليهما السلام

نقل العلامة الشيخ عبد الرحمن الاجهوري المالكي في مشارق الانوار، عن الحسن بن علي عليهما السلام، انه قال: حبس عني عطائي معاوية، في بعض السنين - وكان مائة الف - فحصل لي ضيق شديد. فدعوت بدواة، لأكتب إلى معاوية. لأذكره نفسي، ثم امسكت. فرأيت رسول الله ﷺ في المنام - فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير، وشكوت إليه تأخير المال عني. فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره؟ فقلت: يا رسول الله فكيف اصنع؟ قال: قل: اللهم اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك. اللهم ما ضعفت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني، مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني به يا أرحم الراحمين. قال: فوالله ما الححت به أسبوعا، حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف. فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه. فرأيت النبي ﷺ فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي. فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق.

عمر يقيم الحد على ابنه

روى الخطيب وغيره عن عمرو بن العاص. قال: بينا انا بمنزلي بمصر، إذ قيل لي: هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة، يستأذنان عليك. فقلت: يدخلان، فدخلا وهما منكسران فقالا: أقم علينا حد الله، فإنا أصبنا البارحة شراباً وسكرنا. فزجرتهما وطردتهما. فقال عبد الرحمن: إن لم تفعل، أخبرت والدي إذا قدمت عليه. فعلمت اني إذا لم أقم عليهما الحد، غضب علي عمر، وعزلني. فأخرجتهما إلى صحن الدار، فضربتهما الحد. ودخل عبد الرحمن ناحية إلى بيت في الدار فحلق رأسه، وكانوا يحلقون مع الحدود. والله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان. حتى إذا كان بعد أيام.

وأتاني كتابه . يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص عجبت لك وتجراءتك علي، وخلافك عهدي. فما أراني إلا عازلك . تضرب عبد الرحمن في بيتك. وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني. إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين. ولكن قلت: هو ابن أمير المؤمنين. وعرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق. إذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب. حتى يعرف سوء ما صنع . فبعث به كما قال أبوه. وكتب عمرو إلى عمر يعتذر إليه. يقول: إني ضربته في صحن داري. وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه. إني لأقيم الحدود في صحن داري على المسلم والذمي .

وبعث بالكتاب مع عبد الرحمن بن عمر. فقدم به على أبيه، فدخل وعليه عباءة. ولا يستطيع المشي من سوء مركبه. فقال: يا عبد الرحمن فعلت وفعلت. فكلمه عبد الرحمن بن عوف. وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد. فلم يلتفت إليه، فجعل عبد الرحمن يصيح، ويقول: إني مريض وأنت قاتلي. فضربه الحد ثانية وحبسه فمرض ثم مات. وجه الكرامة في هذه القصة أن عمر رضي الله عنه علم ما حصل من واليه في مصر، وهو بالمدينة من غير أن يكتب إليه أحد بذلك. وليس هذا بكثير على عمر الملهم.

عمر أقام الحد على ابنه أبي شحمة حتى مات

ووقعت قصة أخرى لعمر مع ابنه أبي شحمة عبد الرحمن نذكرها إتماما للفائدة — وإن كان سندها غير صحيح — روى الخيثمة في المنتقى من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه. فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كنت يوما في المسجد، وعمر جالس. والناس حوله، فأقبلت جارية. فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: وعليك السلام ورحمة الله ألك حاجة؟ قالت: نعم، خذ ولدك هذا مني. فقال عمر: إني لا أعرفه. فبكت الجارية، فقالت: يا أمير المؤمنين إن لم يكن من ظهرك، فهو ولد ولدك. فقال: أي أولادي؟ قالت: أبو شحمة. فقال: أبحلال؟ أم بحرام؟ قالت: من قبلي بحلال، ومن جهته بحرام. قال عمر: وكيف ذلك؟ اتقي الله ولا تقولي إلا حقا. قالت: يا أمير المؤمنين، كنت مارة في بعض الأيام، فمررت بحائط بني النجار. إذ أتاني ولدك أبو شحمة يتمايل سكرا. وكان شرب عند نسيكة اليهودي. قالت: ثم راودني عن نفسي وجرني إلى الحائط. ونال

مني ما ينال الرجل من المرأة. وقد أغمي عليّ. فكتمت أمري عن عمي وجيراني. حتى أحسست بالولادة. فخرجت إلى موضع كذا. فوضعت هذا الغلام. وهممت بقتله، ثم ندمت على ذلك. فاحكم بيني وبينه بحكم الله. فأمر عمر منادياً ينادي فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد. فقال عمر: لا تفرقوا حتى آتيكم. ثم خرج. فقال: يا بن عباس أسرع معي. فأسرع حتى وصل منزله. فقرع الباب. وقال: ها هنا ولدي أبو شحمة؟ فقيل له: إنه على الطعام. فدخل عليه. وقال: كل يا بني فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا. قال ابن عباس: فلقد رأيت الغلام. وقد تغير لونه. وارتعد وسقطت اللقمة من يده. فقال عمر: يا بني من أنا؟ قال: أنت أبي وأمير المؤمنين. قال: فلي حق طاعة أم لا؟ قال: لك طاعتان مفترضتان، لأنك والدي وأمير المؤمنين. قال عمر: بحق نبيك، وبحق أبيك هل كنت ضيفاً لنسيكة اليهودي؟ فشربت الخمر عنده فسكرت قال: قد كان ذلك. وقد تبت. قال: رأس مال المؤمنين التوبة. قال: أنشدك بالله هل دخلت حائط بني النجار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى. قال: لا بأس، اصدق يا بني فإن الله يحب الصادقين. قال: قد كان ذلك، وأنا تائب نادم. فلما سمع عمر منه، قبض على يده ولببه وجره إلى المسجد. فقال: يا أبت لا تفضحني، وخذ السيف واقتلني. قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ [النور: ٢]، ثم جره إلى المسجد. وقال: صدقت المرأة، وأقر أبو شحمة بما قالت. وكان له مملوك يقال له: أفلح. فقال: يا أفلح خذ ابني هذا إليك، واجلده مائة سوط، ولا تقصر في ضربه. فقال: لا أفعل وبكى. فقال: يا غلام إن طاعتي طاعة لله ولرسوله، فافعل ما آمرك به. فنزع ثيابه. وجعل الغلام يقول لأبيه: ارحمني يا أبت. فقال له عمر: إنما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمني. ثم قال: يا أفلح اضرب، فضربه وهو يستغيث، حتى بلغ سبعين. فقال: يا أبت اسقني شربة من ماء. فقال: يا بني إن كان ربك يطهرك، فيسقيك محمد ﷺ شربة لا تظمأ بعدها أبداً، يا غلام اضربه. فضربه حتى بلغ ثمانين. فقال: يا أبت السلام عليك. فقال: وعليك السلام إذ رأيت محمداً. فاقرئه مني السلام. وقل له: خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه. فضربه حتى بلغ تسعين. فانقطع كلامه وضعف. فرأيت الصحابة. قالوا: يا عمر انظر كم بقي؟ فأخره إلى وقت آخر فقال: كما لم تؤخر المعصية. لا تؤخر العقوبة. وجاء الصريخ إلى أمه. فجاءت باكية صارخة. وقالت: أحج بكل سوط حجة ماشية، وأتصدق بكذا وكذا درهماً. فقال: إن الحج

والصدقة، لا ينويان عن الحد . فضربه فلما كان آخر سوط، سقط الغلام ميتا . فصاح عمر، وقال : يا بني محص الله عنك الخطايا . ثم جعل رأسه في حجره، وصار يبكي ويقول : بأبي من قتله الحق، بأبي من مات عند انقضاء الحد، بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه، فضج الناس بالبكاء والنحيب . فلما كان بعد أربعين يوماً، أقبل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما : صبيحة يوم الجمعة . فقال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام . وإذا الفتى معه، وعليه حلتان خضراوان . وقال رسول الله ﷺ : أقرئ عمر مني السلام، وقل : هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن . وتقيم الحدود . وقال الغلام أقرئ أبي مني السلام . وقل له : طهرك الله كما طهرتني .

كرامة زين العابدين

وقال أبو حمزة الثمالي : أتيت باب علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام . فكرهت أن أنادي . فقعدت على الباب إلى أن خرج . فسلمت عليه . ودعوت له فرد . ثم انتهى بي إلى حائط . فقال : يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط؟ قلت : بلى يا سيدي قال : فإني متكئ عليه، وأنا حزين مفكر، وإذ دخل علي رجل حسن الثياب، طيب الرائحة . ثم نظر في وجهي، وقال : يا علي بن الحسين أراك كئيبا حزينا على الدنيا . فهو رزق حاضر، يأكل منه البار والفاجر . فقلت : ما عليها أحزن، وإنها كما تقول . قال : فعلام حزنك؟ قلت : أتخوف فتنة ابن الزبير، قال : فضحك . ثم قال : يا علي هل رأيت أحدا خاف الله فلم ينجه؟ قلت : لا . قال : يا علي هل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه؟ قلت : لا . ثم نظرت . فإذا ليس قدامي أحد . فعجبت من ذلك! وإذا بقائل أسمع صوته، ولا أرى شخصه . يقول : يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك . نقل هذه القصة العلامة نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي في كتاب الفصول المهمة .

كرامة جعفر الصادق

وحدث عبد الله بن الفضل بن الربيع، عن أبيه . قال : لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة . فقدم المدينة . فقال للربيع : ابعث إلى جعفر بن محمد ـ الصادق ـ من يأتينا به متعبا . قتلني الله إن لم أقتله . فتغافل الربيع عنه وتناساه . فأعاد عليه في اليوم الثاني، وأغلظ في القول . فأرسل إليه الربيع، فلما حضر . قال له الربيع : يا أبا عبد الله

أذكر الله تعالى، فإنه قد أرسل إليك من لا يدفع شره إلا الله. وإني أتخوف عليك. فقال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم إن الربيع دخل به على المنصور. فلما رآه المنصور، أغلظ له في القول. وقال: يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماما، يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني، وتبتغي لي الغوائل. قتلني الله إن لم أقتلك. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر. وإن أيوب ابتلي فصبر. وأن يوسف ظلم فغفر. وهؤلاء أنبياء الله، وإليهم نسبك، ولك فيهم أسوة حسنة. فقال المنصور: أجل يا أبا عبد الله ارتفع إلي هنا عندي. ثم قال: يا أبا عبد الله إن فلانا أخبرني عنك بما قلت لك. فقال: أحضره يا أمير المؤمنين. ليوافقني على ذلك. فأحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور. فقال له المنصور: أحقا ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال جعفر: استحلفه يا أمير المؤمنين فبادر الرجل. وقال: والله العظيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الواحد الأحد. وأخذ يعدد في صفات الله تعالى. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين أحلفه بما نستحلفه. فقال: حلفه بما تختار، فقال جعفر: قل: برئت من حول الله وقوته إلى حولي وقوتي. لقد فعل جعفر كذا وكذا، فامتنع الرجل، فنظر إليه المنصور نظرة منكرة. فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخر ميتا مكانه. فقال المنصور: جروا برجله وأخرجوه. ثم قال: لا عليك يا أبا عبد الله. أنت البرئ الساحة، السليم الناحية المأمون الغائلة، علي بالطيب. فأتي بالغالية، فجعل يغلف بها لحيته، إلى أن تركها تقطر. وقال: في حفظ الله وكلاءته وألحقه يا ربيع بجوائز حسنة. وكسوة سنية. قال الربيع: فلحقته بذلك. ثم قلت له: يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك وكلما حركتهما. سكن غضب المنصور. بأي شيء كنت تحركهما؟ قال: بدعاء جدي الحسين. قلت: وما هو يا سيدي؟ قال: اللهم يا عدتي عند شدتي. ويا غوثي عند كربتي. احرسني بعينك التي لا تنام. واكنفني بركنك الذي لا يرام. وارحمني بقدرتك علي. فلا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر. اللهم بك أدرأ في نحره. وأستعيذ من شره. إنك على كل شيء قدير.

قال الربيع: فما نزل بي شدة. ودعوت به إلا فرج الله عني.

قال الربيع: وقلت له: منعت الساعي بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه. وأحلفته

بسيفك فما كان إلا أن أخذ لوقته ما السر فيه؟ قال: لأن في يمينه توحيد الله وتمجيده وتنزيهه. فقلت: يحلم عليه، ويؤخر عنه العقوبة. وأحببت تعجيلها إليه. فاستحلفته بما سمعت. فأخذه الله لوقته.

وقتل داود بن علي بن عبد الله بن عباس: المعلى بن حسين مولى كان لجعفر الصادق. وأخذ ماله. فبلغ ذلك جعفراً فدخل داره. ولم يزل قائماً ليله كله إلى الصباح. فلما كان وقت السحر، سمع منه في مناجاته: يا ذا القوة القوية. يا ذا المحال الشديد — يا ذا العزة التي خلقك لها ذليل. أكفنا هذا الطاغية وانتقم منه. فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات، وقيل: مات داود بن علي فجأة.

ونقل الشيخ نور الدين بن الصباغ، في الفصول المهمة، عن الشيخ نصر الله بن يحيى — وكان من الثقات الخيرين — قال: رأيت في المنام علياً عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين بكربلاء منهم ما تم. فقال لي كرم الله وجهه: أتعرف أبيات ابن الصيفي التميمي في هذا المعنى؟ فقلت: لا.

قال: اذهب إليه واسمعها منه. فاستيقظت من نومي مفكراً. ثم ذهبت إلى دار ابن الصيفي — وهو الشيص بيص الشاعر المشهور — فطرقت عليه الباب، فخرج إليّ. فقصصت عليه الرؤيا، فشهق وأجهش بالبكاء. وحلف بالله: ما سمعها مني أحد، وما نظمتها إلا في ليلتي هذه، ثم أنشد:

ملكنا فكان العفو منا سجيةٌ
فلما ملكتم سال بالدم أبطحُ

وحللتمْ قتل الأسارى وطالما
غدوْنا على الأسرى نعف ونصفحُ

وحسبكمُ هذا التفاوت بيننا
وكل إناء بالذي فيه يرشحُ

قلت: هذه كرامة ظاهرة لعلي عليه السلام بعد وفاته.

كرامة موسى الكاظم

وروى الرامهرمزي في كرامات الأولياء، والجنابذي في معالم العترة النبوية، وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، عن حاتم بن علوان الأصم، قال: قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجاً، سنة ست وأربعين ومائة، فنزلت بالقادسية، فبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم، إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف فوق ثيابه ثوب صوف، مشتمل بشملة، وفي رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية، ويريد أن يخرج مع الناس ويكون كلا عليهم في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه فدنوت منه، فلما رآني مقبلا نحوه، قال: يا شقيق ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثم تركني وولى، فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عجيب: تكلم بما في خاطري، ونطق باسمي، هذا عبد صالح، لألحقه ولأسألنه الدعاء، وأحلله مما ظننت فيه، فغاب عني ولم أراه، فلما نزلنا وادي فضة، فإذا هو قائم يصلي، فقلت: هذا صاحبي، أمضي إليه وأستحله، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إلي، وقال: يا شقيق اتل ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢]، ثم قام ومضى وتركني، فقلت: هذا فتى من الأبدال، فقد تكلم على سري مرتين، فلما نزلنا بالأبواء، إذا أنا بالفتى قائماً على البير وأنا أنظر إليه، وبيده ركوة، فيها ماء، فسقطت من يده في البير فرفع السماء بطرفه، وسمعته يقول:

أنت شربي إذا ظمئت من الماء

وقوتي إذا أردت طعاما

ثم قال: إلهي وسيدي مالي سواك، فلا تعدمنيها، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البير، والركوة طافية عليه، فمد يده فأخذها، فتوضأ منها، وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل، فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة، ويحركها ويشرب، فأقبلت نحوه، وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني مما أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق، لم تزل نعم الله علي ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة، فشربت منها، فإذا فيها سويق بسكر، فوالله ما شربت قط ألذ منه، ولا أطيب، فشربت ورويت حتى شبعت فأقمت أياما، لا أشتهي طعاما ولا شرابا، ثم لم أره، حتى نزلنا

بمكة. فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل. وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء. فلم يزل كذلك، حتى طلع الفجر. ثم قام إلى حاشية المطاف، فركع ركعتي الفجر هناك، ثم صلى مع الناس. ثم دخل المطاف، فطاف إلى بعد شروق الشمس. ثم صلى خلف المقام، ثم خرج يريد الذهاب. فخرجت خلفه أريد السلام عليه، وإذا بجماعة أحاطوا به يمينا وشمالاً، ومن خلفه ومن أمامه. وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه. فقلت لأحدهم: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى الكاظم بن جعفر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم.

كرامة ابنه علي الرضا

وروى الحاكم في تاريخه، عن محمد بن عيسى، عن أبي حبيب. قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، وكأنه قد وافى المسجد الذي كان ينزله الحجاج من بلدنا - نيسابور - في كل سنة. وكأني مضيت إليه، وسلمت عليه، ووقفت بين يديه. فوجدت عنده طبق من خوص المدينة، فيه تمر صيحاني، وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها. فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرة، فقلت إني أعيش بكل تمرة سنة. فلما كان بعد عشرين يوما، وأنا في أرض لي تعمر للزراعة. إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي حسن علي الرضا ابن موسى الكاظم، ونزوله بذلك المسجد. ورأيت الناس يسعون له من كل جهة، يسلمون عليه. فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالسا فيه. وتحته حصير مثل الحصير الذي كان تحته ﷺ. وبين يديه طبق من خوص المدينة، وفيه تمر صيحاني، فسلمت عليه. فرد السلام، واستدناني. وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا هي بعدد ما ناولني النبي ﷺ في النوم، ثماني عشرة تمرة. فقلت: زدني. فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك.

ونقل العلامة نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي في الفصول المهمة، عن أبي خالد، قال: كنت بالعسكر - هي بلد سر من رأى أو سامرا - فبلغني أن هناك رجلا محبوسا أتي به من الشام - مكبلا بالحديد. وقالوا: إنه تنبأ. فأتيت باب السجن، ودفعت شيئاً للسجان، حتى دخلت عليه، فإذا رجل ذو فهم وعقل ولب. فقلت: يا هذا ما قصتك؟ فقال: إني كنت رجلا بالشام أعبد الله تعالى، في الموضع الذي يقال: إنه نصب فيه رأس الحسين. فبينما أنا ذات ليلة في موضعي، مقبلا على المحراب، أذكر الله تعالى. إذ رأيت شخصا بين يدي، فنظرت إليه. فقال لي: قم، فقمت معه. فمشى

قليلاً، فإذا أنا في مسجد الكوفة. فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة. قال: فصل فصليت معه. ثم انصرف، فانصرفت معه قليلاً، فإذا نحن بمكة المشرفة. فطاف بالبيت، فطفت معه. ثم خرج فخرجت معه، فمشى قليلاً، فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام. ثم غاب عني، فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت! فلما كان العام المقبل، إذ ذلك الشخص قد أقبل علي، فاستبشرت به، فدعاني فأجبته. ففعل معي كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي، قلت له: بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتني: من أنت؟ فقال: أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر.

فحدثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع، فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات. فبعث إلي من أخذني من موضعي، وكبلني بالحديد، وحملني إلى العراق كما ترى، وادعى علي بالمحال. فقلت له: فارفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك الزيات؟ قال: افعل. فكتبت عنه قصته، وشرحت فيها أمره، ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك الزيات. فوقع على ظهرها: قل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها: يخرجك من السجن. قال أبو خالد: فاغتممت لذلك، وسقط في يدي. وقلت: إلى غد آتيه وآمره بالصبر، وأعده من الله بالفرج، وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر. فلما كان من الغد، باكرت إلى السجن. فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج. فسألت: ما الخبر؟ فقيل لي: إن الرجل المتنبئ المحمول من الشام، فقد البارحة من السجن وحده، وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرمية في السجن، وطلب فلم يوجد له أثر. فتعجبت من ذلك! وقلت في نفسي: استخف ابن الزيات بأمره، واستهزأ بقصته، فخلصه من السجن.

كرامة سفيان الثوري

وبعث أبو جعفر المنصور الخشابين أمامه، حين خرج إلى مكة. وقال: إذا رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه. فوصلوا مكة، ونصبوا الخشب للصلب. وجاؤا إليه، فوجدوه نائماً، رأسه في حجر الفضيل بن عياض، ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة. فقالوا: يا أبا عبد الله اتق الله، ولا تشمت بنا الأعداء. فتقدم إلى أستار الكعبة. وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر. فمات قبل أن يدخل مكة قلت: سفيان بن سعيد الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أحد الأئمة المتبوعين. قال النسائي: هو أجل من أن يقال فيه: ثقة. كان منقطع النظير في الزهد والعبادة. سئل عن رجل يكتسب لعياله. ولو صلى

في الجماعة، لفاته القيام عليهم: ماذا يصنع؟ قال: يكتسب لهم، ويصلي وحده. ومن كلامه: إذا رأيتم شرطيا نائما عن صلاة، فلا توقظوه لها، فإنه يقوم يؤذي الناس. وقال: كثرة النساء ليست من الدنيا، لأن عليا رضي الله عنه، كان من أزهد الصحابة. وكان له أربع نسوة، وتسع عشرة سرية.

كرامة محمد الحنفي

كان شخص من التجار، شديد الإنكار على القطب شمس الدين محمد الحنفي. وكان أحيانا يأتي إلى باب الزاوية، ويرفع صوته. بالألفاظ القبيحة في حق الشيخ. فدار عليه الزمان، وأفلس وركبته الديون. فجاء إلى الشيخ رضي الله عنه، فتلقاه بالترحيب. وجمع له من أصحابه مالاً جزيلاً. ولم يزل يعتقد الشيخ إلى أن مات. قلت: الشيخ شمس الدين محمد الحنفي، من الأقطاب الكبار. له منزلة كبرى في الولاية، وكثيراً ما كان يقول: لو كان عمر بن الفارض في زماننا ما وسعه إلا الوقوف ببابنا، وذكروا عنده السيد عبد القادر الجيلي، فقال: لو حضر عندنا عبد القادر هنا، لكان يتأدب معنا، وهذا من باب التحدث بالنعمة، والتعريف بنفسه، وقد وقع مثله لكثير من العلماء، فالبخاري – رضي الله عنه – قال عن شيخه علي بن المديني:

" وددت لو أني كنت شعرة في صدره، ومع ذلك كنت أغرب عليه، يعني أن البخاري كان يأتي بأحاديث لا يعرفها شيخه علي بن المديني الذي كان يحفظ ألف ألف حديث[1]، وقال العلامة الشيخ أحمد بن المبارك اللمطي: لو أدركنا السعد أو السيد، لما وسعه إلا أن يأخذ عنا، وقد كان سعد الدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني، إمامين في علوم الأصول والبلاغة والمنطق.

ومن الإشارات اللطيفة للشيخ محمد الحنفي: أنه سئل: ما تقول الساقية في غنائها؟ قال: تقول: لا يرى ملآن إلا طالعاً، ولا فارغ إلا نازلاً، وقال: خطر لي أن أباسط توتة كانت في خلوتي، فقلت: يا توتة حدثيني حدوتة، فقالت: نعم، إنهم لما زرعوني سقوني، فلما سقوني أسست، فلما أسست فرعت، فلما فرعت أورقت، فلما أورقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت، قال: فكان كلامها سلوكا لي.

---

(١) هو أحد حفاظ ثلاثة، كان كل واحد منهم يحفظ ألف ألف حديث، والثاني الإمام أحمد بن حنبل، والثالث يحيى بن معين، وكانوا أقرانا متقاربين في السن، والئمة في الجرح والتعديل.

قلت: هذا أصل ما شاع بين المصريين اليوم، حيث يقولون تونة تونة، خلصت الحدوتة.

كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة

نقل العلامة الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي في كتاب مشارق الأنوار: أن رجلاً من المغرب، عزم على التوجه إلى الحج، فأعطاه رجل آخر، مائة دينار، وقال: تعطيها بالمدينة لشريف صحيح النسب، فلما وصل سأل عن الأشراف، فقالوا له: إنهم من الشيعة، يسبون الشيخين - رضي الله عنهما. فكره الإعطاء، فجلس بجنبه رجل بالمدينة، فقال له: أأنت شريف؟ قال له: نعم، قال له: ما عقيدتك؟ قال: شيعي. فكره الإعطاء له، قال: فنمت تلك الليلة، فرأيت أن القيامة قامت، والناس يجوزون على الصراط، فأردت أن أجوز، فمنعتني فاطمة - رضي الله عنها - فأتيت رسول الله ﷺ، فشكوت إليه. فقال لها: لم منعتيه؟ فقالت: قطع رزق ابني، فقال لي رسول الله ﷺ: إنه ما منعه إلا عن كونه يسب الشيخين، قال: فالتفتت فاطمة - رضي الله عنها - إلى الشيخين - رضي الله عنهما - وقالت لهما: أتؤاخذان ابني بذلك؟ فقالا: لا، بل سامحناه، فالتفتت إليّ، وقالت: ما الذي أدخلك بين ولدي وبين الشيخين؟ فانتبهت فزعاً، فأخذت المبلغ، وجئت به إلى ذلك الشريف، فدفعته إليه، فتعجب من ذلك! فقصصت عليه الرؤيا، فقال: أشهدك على أني لا أسبهما.

قلت: أغلب الشيعة الموجودين في هذا العصر نوعان:

زيدية، أتباع زيد بن علي زين العابدين - عليهما السلام - وهؤلاء يتولون الشيخين أبا بكر وعمر ويترضون عليهما، وإن كانوا يرون علياً - عليه السلام - أفضل وأحق بالخلافة منهما، لكنهم يرون جواز إمامة المفضول، مع وجود الفاضل، وهم الموجودون باليمن اليوم.

وإمامية، وهم موجودون بالعراق وإيران وسوريا ولبنان وبعض بلاد الهند، وهؤلاء يبغضون الشيخين ويسبونهما كما يسبون عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها.

كرامة مطرف بن عبد الله بن الشخير

تعدى رجل على مطرف بن عبد الله بن الشخير وظلمه، فقال: أماتك الله على عجل، فمات في الحال، فطلبوه إلى زياد وهو وال على البصرة، فقال: هل مسه؟ قالوا:

لا، قال: فهل هي إلا دعوة رجل صالح، وافقت قدراً فأطلقوه.

قلت: مطرف بضم الميم، وكسر الراء المشددة، والشخير بكسر الشين والخاء المعجمتين المشددتين، كان من فضلاء التابعين، وأبوه صحابي، سئل مطرف عن الرجل، يتبع الجنازة، حياء من أهلها، هل له في ذلك أجر؟ فقال: ذهب ابن سيرين إلى أن أجرين: أجر صلاته على أخيه، وأجر مشيه للحي.

كرامة سعيد بن جبير

لما قدم الحجاج سعيد بن جبير للقتل، قال سعيد: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي، فعاش الحجاج بعده نحو أسبوعين، ووقعت الآكلة في بطنه، وكان ينادي بقية أيامه: مالي ولسعيد بن جبير؟ كلما أردت النوم، أخذ برجلي.

قلت: سعيد بن جبير أحد علماء التابعين، تلقى التفسير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – هو من الثقات في التفسير والحديث، أخرج له الستة، كان مجاب الدعوة، كان له ديك، يقوم على صياحه للصلاة، فلم يصح ليلة، فنام سعيد عن ورده، فدعا عليه، فمات لوقته، فعزم أن لا يدعو على شيء أبداً.

كرامة ذي النون المصري

وقال ذو النون المصري – رضي الله عنه –: لما حملت من مصر في الحديد إلى بغداد، لقيتني امرأة زمنة، فقالت: إذا دخلت على المتوكل، فلا تهبه، ولا ترى أنه فوقك، ولا تحتج لنفسك، محقاً كنت أو متهماً، لأنك إن هبته سلطه الله عليك، وإن حاججته عن نفسك، لم يزدك ذلك إلا وبالاً، لأنك باهت الله فيما يعلمه، وإن كنت بريئاً، فادع الله أن ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك، فيكلك إليها، فقلت لها: سمعاً وطاعة، فلما دخلت على المتوكل، سلمت عليه بالخلافة، فقال: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة؟ فسكت، فقال وزيره: هو حقيقة عندي بما قيل فيه، ثم قال لي: لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن قلت: لا كذبت المسلمين، وإن قلت: نعم، كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله تعالى مني، فافعل أنت ما ترى، فإني غير منتصر لنفسي.

فقال المتوكل: هو بريء مما قيل فيه، فخرجت إلى العجوز، فقلت لها: جزاك الله عني خيراً، فعلت ما أمرتني به، فمن أين لك هذا؟ فقالت: من حيث ما خاطب به الهدهد سليمان – عليه السلام – وكان ذو النون بعد ذلك يقول: من أراد تجريد التوحيد،

وخالص المتوكل، فعليه بالنساء الزمنى ببغداد.

قلت: إلهام المتوكل الحكم ببراءة ذي النون، كرامة أكرمه الله بها، حيث فوض الأمر إليه، ولم يحتج لنفسه، عملاً بوصية العجوز الزمنة التي أخذت ما أوصته به، من قصة الهدهد، حيث لم يحتج عند سليمان، عن نفسه، بل ترك الاحتجاج، وأخذ يحدثه عن مملكة سبأ، فعفا عنه، وأبرده بريداً إليها، كما جاء في القرآن الكريم.

كرامة ابن الحارث الحافي

قال بشر بن الحارث الحافي — رضي الله عنه —: كتبت مرة كتاباً فعرض لي كلام، إن كتبته، حسن الكتاب، وكان كذباً وإن تركته، سمج الكتاب، وكان صدقاً، فعزمت على ذكر الكلام الصحيح الصدق، فنادى هاتف من جانب البيت ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قلت: بشر كان من كبار الصوفية وأجلائهم، عالم ورع كبير الشأن، صحب الفضيل بن عياض، وتأدب به، كان يرى تفضيل الصدقة، على الجهاد والحج والعمرة، ويقول: لأن هذا يركب ويجيء فيراه الناس، وذاك يعطي سراً، فلا يراه إلا الله — عز وجل، وسئل عن التصوف؟ فقال: هو اسم لثلاثة معان: أن لا يطفئ نور معرفة العارف نور ورعه، وأن لا يتكلم في علم باطن، بكلام ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات، على هتك أستار محارم الله — عز وجل، وقال: دخلت داري مرة، فرأيت فيها رجلاً طويلاً قائماً يصلي، فراعني ذلك، لأن المفتاح كان معي، فسلم من صلاته، ثم قال: لا تفزع، أنا أخوك الخضر، فقلت له: علمني شيئاً ينفعني الله به، فقال: قل: أستغفر الله — عز وجل — وأسأله التوبة من كل ذنب تبت منه، ثم رجعت إليه، وأستغفر الله — عز وجل — وأسأله التوبة من كل عقد عقدته لله على نفسي، فنقضته ولم أوف به، وأستغفر الله — عز وجل — وأتوب إليه من كل نعمة أنعم بها علي طول عمري، واستعنت بها على معصية، وأسأله الحفظ، والحمية من ذلك كله.

بحث في الخضر

قلت: ذكر كثير من الأولياء أنهم رأوا الخضر، ويسألوه عن أشياء، أجابهم عنها، وعلم بعضهم أدعية وأذكاراً، مثل هذا الدعاء المذكور هنا، ومثل المسبعات المتلقاة عنه، وتقرأ بعد صلاة العصر، والخلاف في حياته وتعميره معروف، وفي صحيح مسلم عن أبي

سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا أن قال: «يأتي وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال: إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قبلك قط أشد بصيرة مني الآن، فيريد الدجال أن يقتله فلا يستطيع أن يسلط عليه»، قال إبراهيم بن سعد: يقال: إن هذا الرجل هو الخضر، هكذا في صحيح مسلم، وللحافظ ابن حجر كتاب الزهر النضر في نبإ الخضر، ذكر فيه آثاراً عمن رأى الخضر، واجتمع به، وقال: إن الأثر عن عمر بن عبد العزيز، في اجتماعه بالخضر، صحيح، وكثير من الصوفية، بل معظمهم يقولون: إن الخضر[1] ولي، وهذا غير صحيح، بل هو نبي بلا شك، والدليل على نبوته الكتاب والسنة، وقد بينت ذلك في خواطر دينية.

وقال الشيخ علي وفا، في بعض كتبه: لكل ولي خضر، هو يمثل روح ولايته، كما لكل نبي صورة جبريل، هي تمثل روح نبوته، وهذا يفيد أن الخضر الذي يراه الأولياء، غير الخضر المعهود، وهذا هو المتجه لوجوه:

منها: أن كثيراً من الأولياء، ذكروا أنهم رأوا الخضر، ولم يبلغوا في الولاية درجة تؤهلهم لرؤيته والاجتماع به، فلا وجه لصحة كلامهم، إلا بحمله على ما قاله الشيخ علي وفا.

ومنها: أن بعض الأولياء ذكر أن الخضر ظهر له، وطلب منه الصحبة في سفره، فرفض الولي، وليس من المعقول: أن يرفض ولي صحبة نبي سعى إليه موسى – عليه السلام – يطلب مرافقته، والتعلم منه، فلابد أنه خضر آخر.

(١) قال بعض العارفين: القول بولاية الخضر فتح لباب الزندقة، وهو صحيح، لأنه أدى إلى دعوى الجهلة أنهم بلغوا في الولاية شأواً أدركوا فيه علوماً لم يدركها بعض الأنبياء، ويحتجون بأن الخضر، وهو ولي، علم موسى الرسول حقائق لم يكن يعرفها، ويقولون تمثيلاً لذلك: يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر، وأن المزية لا تقتضي التفضيل، وهذا كلام باطل، أوضحنا بطلانه في كتابنا خواطر دينية، ويكفي أن تعلم أن علم النبي علم يقيني يفيضه عليه جبريل – عليه السلام – وأن علم الولي إلهام ظني يحتمل الخطأ والتخمين، فهل يستويان؟

ومنها: أن الشعراني ذكر أن الخضر صوب له المذاهب الأربعة وبين له أن الخلاف بينها دائر بين تشديد، هو عزيمة، أو تخفيف، هو رخصة، أو توسط بينهما، وألف كتاباً سماه الميزان الخضرية، قرأته، والنبي لا يصدر عنه هذا الكلام لسببين:

أحدهما: أنه لا يؤيد التقليد، ولا يتكلف لتوجيهه.

ثانيهما: لو سلمنا أنه أيد التقليد، فلا يمكن أن يحصره في المذاهب الأربعة، ويدع مذهب الظاهرية والزيدية والإمامية والإباضية[1]، وهؤلاء كلهم مسلمون، يصلون ويصومون ويحجون إلى البيت الحرام، ويقرؤن القرآن ويأخذون منه ومن السنة أحكام الدين، فلابد أن الذي ظهر للشعراني خضره الخاص الذي يمثل روح ولايته.

وصوب له تقليد الأربعة، وهي المذاهب المعروفة في مصر، ولم يلتفت إلى طرابلس وتونس والجزائر وعمان، (بضم العين وتخفيف الميم) حيث يوجد مذهب الإباضية ولا إلى اليمن، حيث يوجد مذهب الزيدية، ولا إلى الشام والنجف وفارس وغيرها من البلاد التي يوجد فيها مذهب الإمامية، بل لم يلتفت إلى الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي الحاتمي الذي كان ظاهري المذهب، واختصر كتاب المحلى لابن حزم الظاهري، ولا إلى الإمام المقرئ المفسر أبي حيان الأندلسي الظاهري المدفون بمصر.

ولهذا كان قول الشيخ عفي وفا – رحمه الله تعالى –: لكل ولي خضر، في غاية الوجاهة، يؤيده قول أبي تراب النخشبي: رأيت رجلاً بالبادية، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الخضر الموكل بالأولياء، أرد قلوبهم إذا شردت عن الله – عز وجل – والخضر النبي، ليست هذه وظيفته.

وقال الشغليسي: كان النوري إذا دخل مسجد الشونيزية – ببغداد – انقطع ضوء السرج من ضيائه وجهه، فلذلك سمي بالنوري، قال: وكان إذا حضر معنا، لا تؤذينا البراغيث.

كرامة النوري

قلت: أحمد بن محمد النوري البغدادي، يعرف بابن البغوي، صحب السري

(١) بكسر الهمزة، نسبة إلى عبد الله بن إباض بالكسر، قرأت بعض كتبهم كمسند الربيع بن حبيب، وقناطر [illegible]

المستقلي، فهو من أقران الجنيد.

ومن كلامه: ليس التصوف رسوماً ولا علوماً، وإنما هو أخلاق، وقال: وقفت على شيخ يضرب بالسياط، فعددت عليه ألفاً، وهو ساكت، فاستحسنت صبره، مع كبير سنه، فلما أدخل الرجل الحبس، دخلت عليه فسألته عن صبره مع سنه الكبيرة؟ فقال: يا أخي إنما يحمل البلاء الهمم، لا الأجسام.

كرامة أبي الخير التيناتي

وقال أبو الخير الأقطع التيناتي: أتيت قبر رسول الله ﷺ وأنا جائع، فقلت: أنا ضيفك يا رسول الله، وتنحيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبي ﷺ، فقبلت ما بين عينيه، فدفع لي رغيفاً، فأكلت نصفه، وانتبهت وبيدي النصف الآخر.

قلت: أبو الخير، أصله من المغرب، كان أوحد زمانه في مقام التوكل، وله فراسة حادة.

من كلامه: إياك أن تطلب من الله أن يصبرك، ولكن اسأل الله اللطف بك فهو أولى، لأن تجرع مرارات الصبر شديدة على أمثالنا.

قلت: يؤيد هذا الكلام، حديث النبي ﷺ: فقد مر برجل يسأل الله الصبر، فقال له: «سألت الله البلاء فسله العافية».

وسبب قطع يده: أنه عقد مع الله عقداً ألا يمد يده إلى شيء مما تنبت الأرض بشهوة، فنسي وتناول عنقوداً من شجرة البطم، فبينما هو يلوكه، إذ تذكر العقد، فرمى بالعنقود، وبصق ما في فمه، وجلس نادماً، قال: فما استقر بي الجلوس، حتى دار بي فرسان ورجال، وقالوا: قم، فساقوني حتى أخرجوني إلى ساحل بحر الإسكندرية، فرأيت هناك أميراً وبين يديه سودان، قد قطعوا الطريق، فوجدوني أسود اللون، ومعي ترس وحربة وسيف، فقالوا: هذا منهم بلاشك، فقطع أيديهم وأرجلهم، إلى أن وصل إلي، فقال لي: قدم يدك، فمددتها فقطعها، فقال: مد رجلك، فمددتها، ثم رفعت رأسي، وقلت: إلهي وسيدي ومولاي يدي جنت، فرجلي ماذا صنعت؟ فدخل عليه فارس، ورمى بنفسه على الأمير، وقال: هذا رجل صالح، يعرف بأبي الخير التيناتي، فرمى الأمير نفسه

إلى الأرض، وأخذ يدي المقطوعة من الأرض يقبلها، وتعلق بي يبكي، ويعتذر إلي، فقلت له: جعلتك في حل، من أول ما قطعتها، وقلت: يد جنت فقطعت، توفي سنة نيف وأربعين وثلاثمائة هجرية بمصر، رحمه الله ورضي عنه.

هذا آخر كتاب (النقد المبرم لرسالة الشرف المحتم)..

وكان الفراغ من تبييضه ظهر يوم الأربعاء السادس من شهر شعبان المبارك، من شهور سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف، ختمها الله بخير، وختم لنا بالحسنى آمين والحمد لله رب العالمين.

بخط ناسخه الفقير إلى الله تعالى

محمد بن عمر بن عمر التونسي

وفقه الله وعافاه آمين

بحمد الله تم الكتاب

أولياء وكرامات

إشراف:

محمد بن علي بن يوسف

تعريف بالمؤلف

ولد صباح يوم الخميس غرة شهر رجب سنة ١٣٢٨ هجرية، وحفظ القرآن بقراءة ورش وسنه عشر سنوات، وحفظ متن الآجرومية والأربعين النووية، وشرع في حفظ متن الألفية، ومختصر خليل في فقه المالكية، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام، ثم أعجله السفر لحضور العلم، فلم يتم حفظها.

ما يحمله من شهادات

حصل على شهادة العالمية الخاصة بالغرباء سنة ١٣٥١ هجرية، وهي موقعة بإمضاء الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر إذ ذاك، والامتحان فيها يكون في اثني عشر علماً.

ثم حصل على شهادة العالمية الأزهرية، وهي براءة ملكية صادرة من قصر عابدين سنة ١٣٦١ باسم الملك فاروق ويكون الامتحان فيها في ستة عشر علماً.

وله تلاميذ تخرجوا على يديه، وحصلوا على شهادات علمية من الأزهر، وهم في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية واطلع على شيء كثير جداً من كتب العربية والتفسير والحديث والرجال والفقه والتصوف والأجزاء المفردة حديثية وغيرها.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

في ذكر كرامات معقولة

تم الفهرس